حكايات هانس كرستيان إندرسن



الجزء الأول

ترجمة : كاظم سعد الدين

حكايات

هانس كرستيان اندرسن

ترجمة : كاظم سعد الدين
رسوم : سامر اسامة

الجزء الاول

حكايات هانس كرستيان اندرسن (الجزء الاول)
ترجمة كاظم سعد الدين
الطبعة العربية الاولى ١٩٩٠

الناشر وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
العراق - بغداد - مكتب بريد ٨ شباط ص.ب ٨٠٤١

سلسلة مكتبنا

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال

حكايات

هانس كرستيان اندرسن

هانس كرستيان اندرسن

منذ عام ١٨٣٥ عندما نشر هانس كرستيان اندرسن القسم الاول من حكاياته الموسومة بـ «ايفينتاير فورتالته لبويرن» في كوبنهاكن، ترجمت حكايات الكاتب الدنماركي الى خمس وثمانين لغة، وفي انكلتره وحدها صدرت اكثر من خمس مئة طبعة مختلفة لها لخمسة وعشرين مترجماً مختلفين. وغدت حكاياته «البطيطة القبيحة» و«حورية البحر الصغيرة» و«ملابس الامبراطور الجديدة» و«الجندي المعدني الراسخ» والحكايات الاخرى، تحمل السحر الذي لاينسى لدى اجيال من الاطفال. لم

يسمع تلك الحكايات من الفلاحين بل من الجنيات التي سكنت خياله.
وقليل من الناس نسبياً يعرفون قصة حياة هانس اندرسن، التي كانت كما كان يحلو له ان يقول، حياة رومانتيكية، ملونة زاهية مثل اية حكاية من حكاياته. وادرك قليل منهم ايضاً ان حكايات الجان التي اطلق عليها اول الامر «تلك التفاهات» - لم تكن الا نتاجاً عرضياً من خياله الخلاق وانه اصيب بالخيبة ان تستند شهرته اليها وليس الى رواياته ومسرحياته وكتب رحلاته، وشعره وتخطيطاته النثرية، التي تؤلف خمسة وثلاثين مجلداً التي جمعت بعد وفاته.
ولد هانس كرستيان اندرسن عام ١٨٠٥، في اودينسه، وهي مدينة ريفية، نفوسها آنذاك سبعة آلاف نسمة، وتبعد مسيرة اربع وعشرين ساعة عن كوبنهاكن، العاصمة. كان وحيد والديه، وكان ابوه صانع احذية غير ناجح يحب الكتب وكانت امه غسالة ملابس جاهلة تكبر زوجها بثماني سنوات. كان الابوان فقيرين جداً، يسكنان ويعملان ويناماني في حجرة واحدة (وقد نالتها يد الصيانة اليوم فصارت متحفاً رائعاً). كان في طفولته حالما، انعزالياً، يضايقه الاطفال الاخرون لغرابة شكله، فيمضي كثيراً من وقته يلعب وحده في مسرح للدمى اقامه في بيته. ثم ادخل مدرسة لابناء الفقراء ولم يتلق فيها شيئاً يذكر من التعليم، ولكنه طيّب خياله بالقراءة النهمة، لالف ليلة وليلة (التي اثرت في بعض حكاياته) ومسرحيات هولبرك ومسرحيات شكسبير وروايات سكوت، واستمتع بزيارات الى المسرح، وروت له بعض العجائز المؤمنات بالخرافات حكايات عن الاشباح والعفاريت والجن.
وتوفي والده عندما بلغ الحادية عشرة. وتزوجت امه بعد سنتين، وفي الرابعة عشرة، عقد العزم ان يكون ممثلاً فاخبر امه التي كانت تريد له

ان يصبح خياطاً: «سأذهب الى كوبنهاكن وسأصبح مشهوراً فيجب ان يمر المرء اولاً بكل الصعاب حتى يصبح مشهوراً» ونصحه وجهاء منطقته ان «يتعلم مهنة» وحذروه بسوء العاقبة، غير انه كان مصراً في «خياله» وقد شجعه على ذلك عرّافة عجوز كانت قد اخبرت والديه ان الصبي سيصبح ذات يوم شيئاً عظيماً رائعاً وان «اوينسه كلها سوف تضاء له بالانوار الساطعة».

وصل في ايلول من عام ١٨١٩ الى كوبنهاكن في عربة البريد وهو لايحمل معه شيئاً سوى صرة ملابسه واثنتي عشرة قطعة نقد فضية مما ادخره في علبة توفيره الفخارية ورسالة توصية غامضة الى احدى الممثلات. كان طويلا، مهزولاً بشكل غير منسجم، اقرب الى القبح، ملابسه لاتناسب جسمه بهيئة تثير الضحك، فلم يكن بهذا مجهزاً خير التجهيز لكي يحقق احلامه. ولم يقدم له المسرح الملكي في كوبنهاكن خلال ثلاث سنوات تلميذا الا شيئاً ضئيلاً. فقدم التماساً الى الملك يبين فيه «حبه الشديد للمسرح وثقته في النفوس النبيلة في مساعدته» وقد رفض طلبه. وقدم الى المخرجين مسرحية قليلة الخبرة اعيدت اليه بعد ستة اسابيع من الامل على انها «تنقصها الثقافة الاولية والتربية الضرورية نقصاً جوهرياً».

وقد عزز ثلاثة اشياء في نفسه القوة وهو يعاني الجوع في عليّة (غرفة في اعلى البناية): عزم لايتزعزع، وايمان ديني راسخ، وبساطة سارة تحظى بمساعدة الناس من كل مسالك الحياة والمهن، حتى ولو انهم كانوا يضحكون منه قليلاً في سرهم.

ومن الكتاب والموظفين والناس الاخرين الكثيرين الذين اولوه رعايتهم وهباتهم بالمال او الملابس او الطعام في بيوتهم او التوصيات النافعة لدى

غيرهم وما شاكل ذلك من امور، كان اهمهم يوناس كولين المستشار الحكومي واحد مدراء المسرح الملكي . وكان هذا واحداً من اعظم اولياء النعمة في تاريخ الادب، فقد لاحظ منذ وقت مبكر قابليات الصبي، ولم يحصل له على تعليم مجاني في مدرسة ثانوية حسب، بل احتضنه في بيته المثقف وجعله واحدا من عائلته .

وكانت السنوات الخمس في المدرسة كما كتب في سيرته الذاتية احلك الاعوام في حياته . وعلى الرغم من انه كتب ونشر، على حسابه الخاص، قصة يقلد فيها وولتر سكوت، فانه لم يكن يعرف اللاتينية او اليونانية او التاريخ او الجغرافية او الحساب، وكان عليه ان يبدأ من لاشيء . وكان مدير المدرسة، الذي يسلق الاولاد بلسان حاد كما يفعل واكفورد سكويرز بعصاه، قد لقبه بـ «شكسبير ذي العينين الخفاشيتين» وكان يهينه كلما وسعه ذلك، ويقول له ان كتاباته لاتصلح إلا لسلة المهملات وان مصيره مستشفى الامراض العقلية .

وقد اثبتت تلك السنوات الخمس الحافلة بحشو المعلومات انها نافعة استطاع بعد امتحان القبول في الجامعة مباشرة في عام ١٨٢٧ ان يخرج ثلاثة كتب، ويوميات اسفار حققت له بعض النجاح، ومسرحية كوميدية مثلت على المسرح وديوان شعر. وقد رسخت له هذه الكتب اساساً له باعتباره مؤلفاً محترفاً، ولكنها لم تجلب له الا قليلاً من المال . وظل يتخبط خمس سنوات في اوحال الكتابة المستقلة، معتمداً بشكل أليم على حزام النجاة من احسان اصدقائه .

وما ان وافى عام ١٨٣٢ عندما حصل له كولين على منحة سفر لزيارة ايطاليا لمدة سنتين، حتى اتسعت افاق ميوله في الجنوب الدافىء فكتب رواية «المرتجل» التي كسبت له شهرة عالمية وادت الى حصوله على تقاعد

حكومي ضئيل. ومنذ ذلك الحين انهال عليه وعلى مؤلفاته الاجلال والشهرة، حتى جاء عام ١٨٩٦ بعد خمسين سنة من وصوله الى كوبنهاكن - فاضيئت له بلدته اودينسه كما ينبغي ان تضاء بالانوار الساطعة في احتفال رسمي على شرفه.

وكان قد كتب حكاياته الاولى من اجل الحصول على المال بصورة خاصة وكان اندرسن يميز بعناية بين حكاياته عن الجان المتعلقة بالخوارق، وبين حكاياته الاخرى، وهي حصيلة طبيعية من مسرحيات الدمى في طفولته. وقد وصف في رسالة الى الشاعر انكمان عام ١٨٤٣ كيف كتبها:

«كانت الحكايات طبعاً مما سمعته في طفولتي واعدت روايتها، ولكني وجدت ان الحكايات التي ابتدعتها بنفسي، مثل حورية البحر الصغيرة، قد نالت اسمى الاستحسان، وجعلتني ابدأ رحلتي. وصرت الآن اغوص في اعماق صدري واجد فكرة من افكار الكبار وارويها للاطفال، مستذكراً ان الاباء والامهات يستمعون اليها ايضاً!...

لدي مقدار هائل من المادة، تفوق اي نوع آخر من الاعمال. وقد يبدو لي في كثير من الاحيان ان كل سياج وكل زهرة صغيرة تقول: «انظر اليّ، وستعرف قصتي». واذا مارغبت في ذلك، فان القصة تصبح قصتي».

ولو كانت الدنماركية لغة عالمية كالالمانية، لنال عدد كبير من قصائد اندرسن وغنائياته واناشيده الوطنية شهرة توازي شهرة اعمال كوته، وماتزال اوبرا «كيرستين الصغيرة» التي كتبها تمثل في الدنمارك، ولايقرأ اليوم إلا شيء قليل من اعماله النثرية، اذا استثنينا حكاياته وسيرته الذاتية، «حكاية الجان في حياتي». وان اثنتين من رواياته، «المرتجل» و«مجرد عازف كمان»، وهما فكرتان خياليتان من ايام كفاحه الاولى،

ماتزالان تجدان من يقرأهما بمتعة على اية حال.
وتربط الحكايات بين نضارة الرؤية وبراءة الطفولة وبين التهكم الرفيق ومعـرفة النفس البشرية التي لاتنتجها الا التجربة العسيرة. انها زكية الـرائحـة، بلغه الناس البسطاء في الدنمارك، يشيع فيها دفء الجمال البسيط في الريف. كتب ١٥٨ حكاية، لاتتساوى جميعاً في جودتها.
ونـرى في قليل منها اثراً ادبياً لمجرد كسب المال، بيد أن اغلبها روائع صغيرة، مثل تماثيل تاتاكارا اليونانية الصغيرة.

وقـد استـطاع اندرسن ان يرحل كثيراً بين عامي ١٨٣٨ و١٨٧٥ عام وفاته. وشعر بنفسه انه ان لم يكن مواطناً عالمياً فهو مواطن اوربي في اقل تقدير. وقد زار انكلترة مرتين وقد استقبل فيها استقبالاً حافلاً وقد قال له السفير الدنماركي انك لست بحاجة الى تعريف. واقام لدى جارلز دكنز غير ان عائلة دكنز وجدت فيه شخصاً «مهزولاً ثقيل الظل». وقد الصق دكنز، الشديد الاعجاب باندرسن، ورقة على منضدة الزينة في الغـرفـة التي اشغلهـا اندرسن: «اقام اندرسن في هذه الغرفة خمسة اسابيع، بدت للعائلة عصوراً».
وقـد كان كل عمله طوال حياته كفاحاً من اجل التعويض عن اصله المتواضع والاهانات والازدراء التي تلقاها في مستهل حياته. وكان من عيوبه الغرور والحساسية المفرطة تجاه النقد، والتكبر وعلى نقيض ذلك كله فان ذلك الشخص المطلع، الرجل العصامي، الذي تسلق جبل النجاح يوماً، ليحتقر او يتجاهل اولئك الذين مايزالون يكدحون عند السفح الادنى، ولم يفقد صلته قط بالناس المتواضعين والمعوقين. وعلى

الرغم من ان الامراء والوجهاء كانوا يتنافسون في نيل شرف صحبته في ايام شهرته، فانه لم يكن ينتمي الى عالمهم الذي يمتاز بالثراء، بل بقي جزءاً من الانسانية البسيطة المعذبة. وهذا ماجعله عطوفاً ومحبوباً.

١٩٦٣

ألن موراي وليمز

ملابس الامبراطور الجديدة



كان في قديم الزمان امبراطور يحب الملابس الجديدة حباً جماً بحيث ينفق عليهـا كل امـواله . فلم يول الجيش شيئاً من عنايته ، ولا المسرح ولا التنـزه بالعـربـة في الغابات الا من اجل ان يعرض ملابسه الجديدة وكان لديه في كل ساعة من ساعات النهار بدلة خاصة . ولايقول الناس انـه في «مجلس الشـورى» كمـا يتحدثون عن اي ملك او امبراطور بل

يقولون: الامبراطور في حجرة ملابسه.

وكانت الحياة تتسم بالمرح والحبور في مدينة الامبراطور العظيمة وتتقاطر جموع الاجانب لزيارتها كل يوم. وكان بين الوافدين يوماً اثنان من المحتالين ادعيا انهما نساجان يجيدان نسج اجمل الاقمشة التي تخطر في الخيال. ولم تكن الالوان والتفصيل رائعة فذة فقط، بل كانت الملابس التي تصنع من ذلك القماش تتّسم ايضاً بميزة غريبة هي انها لايراها كل من ليس مناسباً للوظيفة التي يشغلها اومن هو بليد للغاية.

ففكر الامبراطور في نفسه: لابد ان تكون هذه الملابس رائعة واذا مالبستها ساكتشف من ليس كفواً لوظيفته في مملكتي وسوف اميز العاقل من الابله، اجل، يجب ان اصدر امري بان ينسج لي شيء من ذلك القماش.

واعطى الامبراطور المحتالين مبلغاً كبيراً من المال مقدماً لكي يشرعا فوراً بالعمل.

فنصبا نولين وتظاهرا بالنسج، غير انهما لم يضعا شيئاً في المكوكين. ولكنهما طلبا في البدء كمية من النعم خيوط الحرير والذهب المصفى التي وصفاها في كيسيهما الخاصين وراحا يعملان على النولين الخاليين حتى ساعة متأخرة من الليل.

وفكر الامبراطور في نفسه: «اود ان اطلع على ما اتم الحائكان من قماشهما.» غير انه تلكأ قليلاً عندما تذكر ان الغبي وغير الكفء في وظيفته لايستطيع ان يرى القماش. وايقن انه لايخشى على نفسه، ولكنه فكر بارسال احد غيره ليرى ماتم عمله. وقد علم اهل المدينة بما للقماش

من قوة عجيبة وتلهف كل واحد منهم لرؤية مدى بلادة جاره.

وفكر الامبراطور: سارسل وزيري الشيخ الامين الى الحائكين فهو افضل من يستطيع ان يرى ماشكل القماش، لانه رجل ذكي وليس ثمة احد يؤدي واجبه افضل منه.

فذهب الشيخ الطيب الى الحجرة التي جلس الحائكان فيها يشتغلان على النول الخالي.

ففكر الوزير الشيخ وقد اتسعت عيناه كثيراً: «عونك يارب! ليس بوسعي ان ارى شيئاً!» ولكنه حاذر ان يقول ذلك. ورجاه المحتالان ان يتكرم فيقترب قليلاً وسألاه ان كان التصميم جيداً والتلوين جميلاً وهما يشيران الى النول الخالي. فحملق الوزير الشيخ المسكين طويلاً غير انه لم ير شيئاً، فلم يكن بطبيعة الحال شيء يرى.

ثم فكر: ياالهي! امكن ان اكون ابله؟ لم يخطر ذلك ببالي قط. ويجب ان لا يعرف احد ذلك. الستُ اهلاً لمنصبي؟ لن اقول انني لم استطع رؤية القماش:

فقال الذي تظاهر بالنسج: سيدي، لم تقل شيئاً عن القماش.

فاجاب الوزير وهو يرمقه خلال نظارته: بديع ـ ساحر، هذا التصميم وهذه الالوان. ساخبر الامبراطور ان القماش سرني كثيراً فقال المحتالان له: قولك هذا مصدر بهجة لنا.

ثم اخذا يعدوان الالوان ويصفان التصميم المتميز والوزير الشيخ يولي مايقولان اهتماماً كبيراً لكي يستطيع ان يعيده على مسمع الامبراطور اذا ما عاد الى القصر.

ثم راح المحتالان يطالبان بمزيد من المال والحرير والذهب يستطيعا

مواصلة النسيج ، ولكنهما وضعا كل ذلك في كيسيهما . ولم يضعا خيطاً واحداً في النول وراحا ينسجان كالسابق في نول خال .

ومالبث الامبراطور ان ارسل بموظف مخلص آخر ليرى ما تم من القماش ومتى سينتهي . فحصل له ماحصل للوزير . وراح ينظر وينظر ولم ير غير نولٍ خالٍ .

فقال المحتالان معاً : «اليست هذه قطعة قماش جميلة» واخذا يبينان الالوان الجميلة ويشرحان التفصيل البديع مما لايمكن رؤيته .

ففكر الرجل : اعلم اني لست ابله . فلابد اني غير اهل لمنصبي الممتاز ولكن هذا امر غريب حقاً، على انني يجب الا اظهر من ذلك شيئاً .

فاثنى على القماش الذي لم يره واكد لهما بهجته بالالوان الزاهية واصالة التصميم .

وعاد الى الامبراطور وقال له : انه قماش ساحر للغاية .

وصار اهل المدينة جميعاً يتحدثون عن هذا القماش الرائع . وود الامبراطور ان يراه وهو على النول . فخرج يصحبه عدد من رجال البلاط وبينهم الموظفان المخلصان اللذان شاهدا القماش الخيالي ، وتوجه لزيارة الدجالين البارعين اللذين كانا منهمكين في العمل على النول الخالي .

فقال الموظفان المخلصان : انه عمل رفيع . لينظر جلالتكم ، ماابدع هذا التصميم! وما ازهى هذه الالوان!

واشارا الى النول الخالي وهما موقنان ان الآخرين يستطيعون رؤية القماش .

ففكـر الامبـراطور: ماهذا؟ اني لااری شیئاً ابداً. هذا امر رهيب! فهل انـا ابله؟ ولست اهـلا ان اكون امبراطوراً؟ لايمكن ان يحصل لي اسوأ من هذا!

ثم قال الامبـراطـور: اوه، انـه جميـل. وانـه ليجـد عندي قبولا حسناً وابـدى رضـاه وهو يحدق في النول الخالي. ولم يجد مايغريه ان يقول انه لايرى شيئاً.

وراحت الحاشية تحدق وتتفرس غير انها لم تر اكثر مما رأى الآخرون. على انهم هتفـوا والملك ايضـاً: «هـذا جميل جداً» ونصحوه ان يلبس بدله مصنوعة من هذا القماش الرائع لمناسبة موكب المهرجان العظيم الذي سيجري عما قريب.

وتـردد على الالسن: فاخـر! رائـع! ممتـاز!» وكـان الجميـع مبتهجين بذلك. ومنح الامبراطور كلاً من النصابين وسام الفروسية يحمله على صدره، ولقب «الحائك النبيل».

وسهر المحتالان طوال الليلة التي سبقت يوم المهرجان وقد اشعلا ست عشـرة قنـديلاً لكي يرى الناس مدى توقهما لاكمال ملابس الامبراطور الجـديـدة وتظاهرا باخراج القماش من النول، وقصه في الهواء بمقص عظيم، وخياطته بابر لاخيوط فيها.

ثم قالا اخيـراً: والآن، اصبحت ملابس الامبـراطـور جاهـزة وذهب الامبـراطـور بنفسـه مع كبـار رجـالات بلاطه، ورفع كل من المحتالين ذراعـاً في الهـواء كأنهمـا يحمـلان شيئـاً. وقـالا: انظـروا! هذا هو السـروال. وهـذه هي السـترة. وهذه هي الجبة. انها خفيفة مثل نسيج العنكبوت. فيحسب المرء انه لايرتدي شيئاً، وهنا يكمن جمالها.

وقال رجال البلاط: «اجل» ولكنهم لم يروا شيئاً اذ لم يكن ثمة مايرى.
وقال المحتالان: هل يتكرم جلالة الامبراطور بخلع ملابسه لكي نلبسه الملابس الجديدة امام هذه المرآة العظيمة؟.
وخلع الامبراطور جميع ملابسه. وتظاهر المحتالان بتقديم قطعة بعد اخرى اليه من الملابس الجديدة التي تظاهرا بصنعها. وتظاهرا بانهما يربطان شيئاً حول خصره ويشدان به شيئاً آخر. انه الرفل. وراح الامبراطور يدور حول نفسه امام المرأة.
وهتف الناس جميعاً: ما اروع الامبراطور في ملابسه الجديدة! وما اليقها به! ما ابدع التصميم! وما ازهى الالوان! انها ابهى الاردية!
وقال رئيس المراسم: ان السرادق الذي سيظل جلالتكم اثناء الموكب في انتظاركم في الخارج.
فقال الامبراطور: حسن، اني على اتم الاهبة. أفلا تلائمني هذه الملابس؟.
ثم استدار حول نفسه امام المرآة لكي يبدو انه ينظر الى ملابسه الرائعة.
وانحنى الحُجاب الموكلون بحمل اذيال الامبرطور وتطاهروا برفعها من الارض بكلتا يديهم، وساروا وايديهم مرفوعة في الهواء لانهم لايجرؤون ان يظهروا انهم لايرون شيئاً.
ثم سار الامبراطور في الموكب تحت السرادق (المظلة) العظيم، وهتف كل من كان في الشوارع والنوافذ: ما اروع ملابس الامبراطور الجديدة! وما ابدع اذياله التي يرفل بها! انها تلائمه تماماً!
ولم يود احد ان يكشف عن نفسه انه لم ير شيئاً، لانه لن يكون اهلاً

لمنصبه، والا فهو ابله.

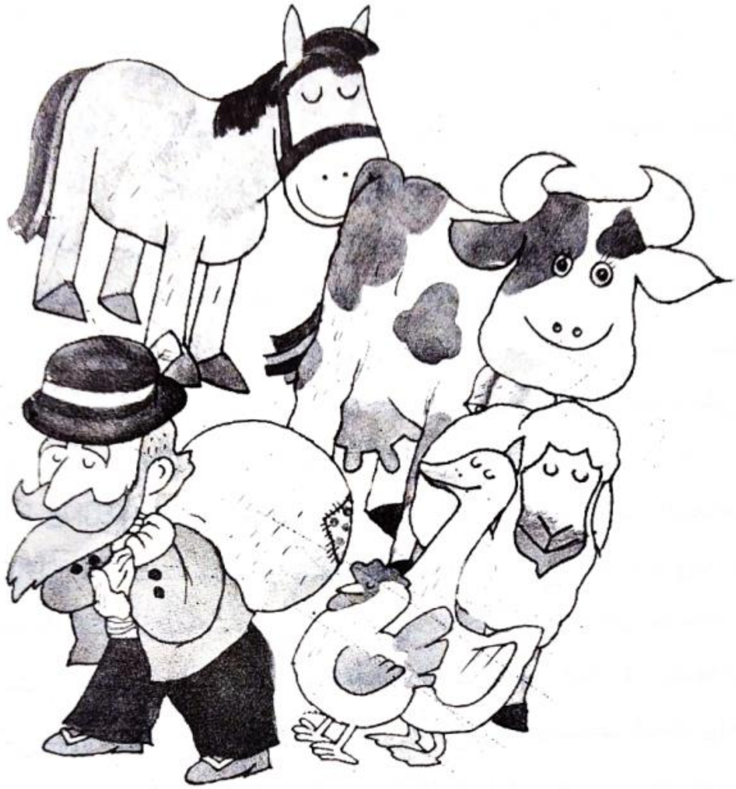
ولم تنـل اي من ملابس الامبـراطور مثل ذلك الاعجاب قبل هذا حتى قال طفل صغير: لكنه لايرتدي شيئاً.

فقـال ابـوه: «استمعوا الى البريء». وهمس شخص الى شخص آخر ماقاله الطفل: انه لايرتدي شيئاً ـ يقول طفل: انه لايرتدي شيئاً!.

فهتف الناس اخيراً: ولكنه لايرتدي شيئاً!

وتألم الامبـراطـور وتلوى لانـه يعلم انها الحقيقة، لكنه فكر بوجوب ان يواصـل المـوكب سيـره. فتمـاسـك على نفسـه اقـوى من ذي قبـل، والحجاب يرفعون اذيالاً لاترى.

مايفعل الشيخ صحيح دائما



ساروي لكم حكـايـة سمعتهـا عندما كنت صغيرا. وكلما فكرت بها بدت لي اكثر سحراً وفتنة، لان الحكايات ككثير من الناس تزداد جمالا بمضي الايام .

واني لعلى يقين انك ذهبت يوما الى الريف ورأيت بيتا ريفيا عتيقا له سقف من القش وتنمو الطحالب والنباتات الصغيرة على سطحه بشكل طبيعي . وقـد بنى لقلق عشـه في اعلى السطـح المثلث . وكـانت الشبـابيـك واطئـة وواحد منها فقط يمكن ان يفتح . وفرن الخبز خارج

من الجـدار قليـلا . وتتـدلى شجـرة البلســان فوق سياج الاوتاد وتحت الاغصان لدى السياج، بركة يلهو فيها بط قليل، وثمة كلب ينبح جميع القادمين.

في مثـل هذا البيت الـريفي يقيم عجـوزان، فلاح وزوجته . وعلى الـرغم من قلة ملكيتهمـا، فانهما يستطيعان ان يستغنيا عن شيء واحد هو الحصان الذي يعيش على العشب بجانب الطريق العام.

ركب الشيــخ هذا الحصـــان وذهب الى المـدينـة. وكثيـرا ما كان الجيران يستعيرون الحصان منه ولا يقدمون خدمة مقابل ذلك. ولكن الزوجين العجوزين اعتقدا ان من الافضل بيع الحصان او ابداله بشيء قد يكون انفع اليها. ولكن ما ذلك الشيء؟

فقـالت الـزوجـة: سنعـرف ذلـك ايها الشيخ . فاليوم يوم المعرض فاركب الى المـدينـة وبعـه بالمـال او استبـدلـه بشيء جيـد ، وان كل ماتفعله سيكـــون صحيحـا بالنسبـة الي. فاركب الى سوق المـدينـة» وشـدت له منـديـل الـرقبـة لانهـا تفعـل ذلك افضل منه. وربطتها في عقدتين فهي تستطيع ان تربطها بشكل جميل، ثم مسحت قبعته براحة يدهـا، وقبلتـه. فركب ومضى على الحصـان الذي سيباع ويقايض به شيئا آخر. اجل، كان الشيخ يعرف ماذا يفعل .

وكــانت حرارة الشمس شديــدة وليس في السمـاء غيمـة واحـدة. وكـانت الطـريق مغبـرة فقد كان كثير من الناس المتجهين الى السوق، ذاهبين في عربات او راكبين خيولا او يمشون . ولاملجأ يلوذون به غير هذا . وكان في الطريق بين السائرين رجل يمشي مجهداً ويسوق بقرة الى المعرض. وكانت البقرة جميلة تسر الناظرين.

فقـال الفـلاح في نفســه: لاريب انهـا تدر حليبـا طيبـا. وستكـون مقايضة جيدة ـ البقرة بالحصان.

ورفـع صوتـه وقـال : انت ياصـاحب البقـرة! اقول لك ان الحصان اغلى من البقرة ولكن لايهمني ذلك ؛ فانها ستكون انفع لي واذا شئت ، نتبادل .

فقـال الـرجـل : «اقبـل بلا ريب» وتبـادلا . ولما تم الامر . كان من المفروض ان يعود الفلاح ، لانه انهى مهمته التي جاء من اجلها ولكنه قرر ان يذهب الى السـوق ، بعـد ان عقـد العـزم على ذلك لكي يلقي نظـرة ، فذهب ببقـرتـه الى المدينة وصار يقودها وهو يمشي مشية ثابتة ، وبعد فترة وجيزة لحق رجلا يسوق نعجة سمينة ذات صوف ناعم .

فقال صاحبنا الفلاح : اريد هذه النعجة فانها ستجد عشبا كثيرا قرب سيـاجنـا . ويمكن في الشتـاء ان تبيت معنـا في الحجـرة ولعـل من الافضل ان تكون لدينا نعجة بدلا من البقرة . هل نتبادل؟

فقبل صاحب النعجة وتمت الصفقة . وواصل صاحبنا الفلاح سيره في الطريق العام مع نعجته . وسرعان ماادرك رجلا آخر مقبلا من حقل ويحمل اوزة كبيرة تحت ذراعه

فقـال الفـلاح له : هذا شيء جيد امامك ، فيه كثير من الريش وكثير من السمن وسنربطها وستخوض في بركتنا . انها شيء جيد بالنسبة الى عجوزي التي يمكن ان تسستفيد منها في اشياء كثيرة . وطالما رددت : ليتني املك اوزة! وهاهي الفرصة سانحة ، وستكون لديها اوزة .

هل نتبادل؟ ساعطيك نعجتي وتعطيني اوزتك وهي صفقة طيبة فلم يعتـرض الـرجل الآخر اي اعتراض وتبادلا ، وصارت الاوزة من نصيب صاحبنا الفلاح .

وصـار في ذلـك الـوقت قريبـا من المـدينـة . وتعاظم الجمهور في الطـريق العـام واختلطت حشـود الناس والماشية . وصاروا يمشون في الطـريق الى جانب اعمـدة الاسيجـة ، حتى انهم قرب سور المـدينـة

دخلوا حقل البطاطة العائد لجابي الضرائب، حيث رأى الفلاح دجاجة تتبختر مربوطة باحدى رجليها لئلا يفزعها الناس وتهرب وتضيع. كانت قصيرة الذيل وتطرف بكلتا عينيها وتبدو ماكرة وهي تقوقيء. ولاادري ماذا يعني بذلك، ولكن ما ان رآها صاحبنا الشيخ الطيب حتى راح يفكر: هذه اجمل شيء اراه في حياتي وهي اجمل من دجاجة الكاهن ذات الفراخ.والله اني ليعجبني ان امتلك تلك الدجاجة. فهي تستطيع دائما ان تجد طعامها من حب وغيره. واظن انها مقايضة جيدة اذا ماحصلت عليها بدل اوزتي. فسأل جابي الضرائب: هل نتبادل؟

فقال الرجل: نتبادل؟ اجل، لابأس في ذلك.

وتبادلا فاخذ الجابي الاوزة وحمل الفلاح الدجاجة. وتعب مما قام به في طريقه الى السوق. فاراد شيئا يأكله وكأسا يشربها، ومالبث ان صار امام «خان». وكاد ان يدخل فالتقى سائسا لدى الباب يحمل كيسا.

فسأله الفلاح: ماذا في هذا الكيس؟

فأجاب السائس: تفاح تالف،كيس مليء ينفع علفا للخنازير.

فقال الفلاح: ولكن هذا تبذير فظيع! اود ان اخذه الى زوجتي. فلم تحمل شجرتنا الا تفاحة واحدة احتفظنا بها في خزانة الاواني حتى تلفت. وكانت زوجتي تعتز بها وتقول انها من املاكنا. ولكنها سترى هذه المرة كمية كبيرة ـ كيسا مليئا. واني ليسرني ان اخذه اليها.

فسأله السائس: وماذا تعطيني بدل الكيس؟

فاجابه: ماذا اعطيك؟ اعطيك الدجاجة بدله.

فاعطاه الدجاجة وتسلم التفاح الذي حمله الى حجرة الضيوف. وانزل الكيس برفق الى جانب الموقد، ثم ذهب الى المنضدة، وكان

الموقد ساخنا ولم ينتبه الى ذلك. وكان في البيت ضيوف كثيرون ـ باعة خيل، ورعاة بقر، وانكليزيان غنيان تكاد جيوبهما تتفتق مما فيها من كثرة النقود الذهبية. وقد تراهنا:

صه، صه! ماهذا الذي الى جانب الموقد؟ فقد بدأ التفاح يشوى.

ـ ماهذا؟

فقال الفلاح: اتعلم ان...

ثم روى لهم قصة الحصان الذي قايضه بالبقرة حتى التفاح.

فقال احد الانكليزيين: حسنا، ستجازيك زوجتك خير جزاء على ذلك، وسوف تعكر عليك صفوك.

فقال الفلاح: ماذا؟ ماذا ستفعل؟ سوف تقبلني وتقول: مايفعل الشيخ صحيح دائما.

فسأله الانكليزي: هل نتراهن؟ نراهنك بنقود من ذهب تعادل وزن التفاح.

فقال الفلاح: بل بوشل (٨ غالونات) واحد يكفي، وسوف نشترك انا وزوجتي في هذا الرهان.. وسوف نكسبه.

ـ حسنا، اتفقنا!

وركب الضيوف العربة وفيها الانكليزيان والفلاح ايضا. وذهبوا الى مزرعة الفلاح حيث كانت زوجته.

ـ مساء الخير ايتها العجوز.

ـ مساء الخير ايها الشيخ.

ـ لقد قمت بالمقايضة.

فقالت المرأة: انت تفهم ماتفعل.

ثم عانقته ولم تأبه بالضيوف الغرباء ولم تلحظ الكيس.

فقال: قايضت الحصان ببقرة.

فقالت: حمدا لله. ما اطيب الحليب الذي سنحصل عليه، والزبد و الجبن. انها لمقايضة عظيمة.

فقال: ولكني استبدلت البقرة بنعجة.

فصاحت الزوجة: وهذا افضل. انك دائما تحسن التفكير بكل شيء فلدينا مرعى جيد للنعجة. وسنحصل على حليب وجبن وجوارب وسترات من صفوف. فالبقرة لايمكن ان توفر لنا كل ذلك. انك تحسن التفكير في كل شيء.

- ولكنني ابدلت النعجة باوزة.

- اذن سنأكل هذه السنة اوزة مشوية يازوجي العزيز.

انك دائما تفكر بشيء يسرني.ماابدع هذا! سنربط الاوزة بخيط في رجلها وستسمن قبل ان نشويها.

فقال الرجل: ولكنني ابدلت الاوزة بدجاجة.

فقالت المرأة: دجاجة؟ هذه مقايضة جيدة! ستبيض الدجاجة ويفقس البيض وسيكون لنا دجاج يملأ الحوش. هذا ماكنت ارغب فيه.

فقال: ولكنني ابدلت الدجاجة بكيس من التفاح الذابل.

فهتفت: ماذا! لابد ان اقبلك على هذا! يازوجي العزيز! والآن اقول لك شيئا. اتعلم، انك ماكدت تخرج هذا الصباح قبل ان تتاح لي الفرصة في التفكير بتقديم شيء جميل لك هذا المساء. ففكرت بكعكة بالاعشاب اللذيذة المشهية. فذهبت الى حديقة المدرسة ولكن المعلمة لم تعطني شيئا وقالت: «ليس في حديقتنا شيء ولاحتى تفاحة ذابلة، ايتها المرأة العزيزة.»

وهأنذا بوسعي ان اقدم لها عشرا، اوكيسا كاملا. واني لمسرورة بذلك، الى حد الضحك.

ثم قبلته قبلة رنانة.

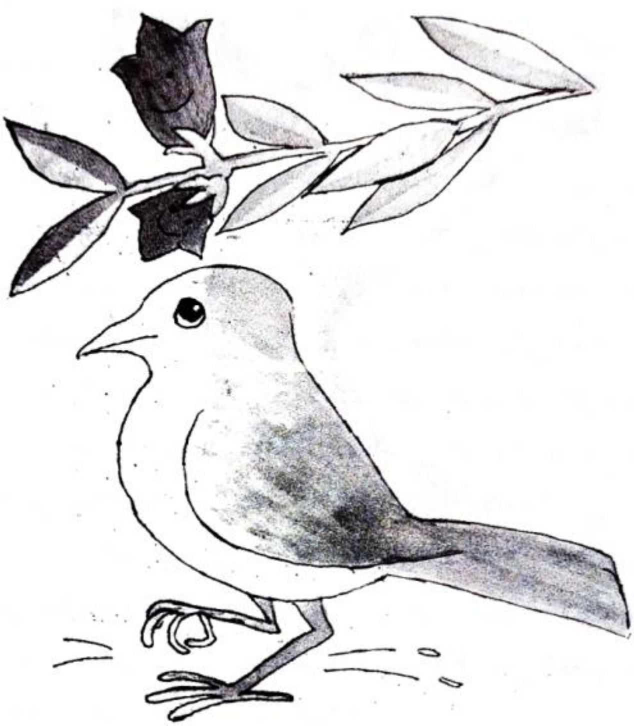
وهتف الانكليزيان معا: يعجبني ذلك! هرمان ومرحان دائما! انهما يستحقان المال.

واعطيا الفلاح ماتراهنا عليه من مال وفير، فبدلا من التقريع نال قبلة.

ويكسب الـزوجـان دائمـا اذا ما رأت الزوجة واكدت ان زوجها خير العارفين وان كل مايفعله صحيح دائما.

هذه قصتي. سمعتهـا عندما كنت صغيرا. وها انتم تسمعونها ايضا واعلموا ان مايفعله الرجل الطيب صحيح دائما.

الورود والعصافير



ظهر كأن شيئا مهما يحدث لدى مزرعة البط. فقد كان البط جميعا قبـل دقـائق معـدودات مستقـرا على المـاء اوواقفـا على رؤوسـه، لانه يستطيـع ان يفعـل ذلـك، ثم سبـح الى الشاطيء في سرعة واهتياج. وكـانت اثـار اقـدامه ترى واضحة على الارض الرطبة، ويسمع صياحه في كل مكان. وقد كان الماء قبل قليل صافيا رائقاً كالمرآة، فاضـحى كدرا.

وقـد انعكست في المـاء، قبـل لحظـة بوضـوح جميـع الاشجـار

والشجيرات قرب البيت الريفي العتيق والبيت نفسه، والثقوب التي في السطح و اعشاش السنونو وفوق ذلك كله شجيرة الورد التي تغطيها الورود. وكانت شجيرة الورد المتسلقة على الحائط قد تدلت فوق الماء فاشبهت الصورة ولكن كل شيء بدا مقلوبا رأسا على عقب. ولكن عندما تحرك الماء تلاشى كل شيء واختفت الصورة. وطافت وكانت على الماء، ذهابا وايابا، ريشتان سقطتا من البط الذي خفف باجنحته. وتأهب البط جميعا كأن الريح آتية، ولكنها لم تهب، فاضطر البط ان يرقد هادئا، فعاد الماء الى هدوئه واستقراره، واستطاعت الورود مرة اخرى ان ترى صورها المنعكسة. وقد كانت جميلة ولكنها لاتعرف ذلك، فلم يخبرها احد بشيء منه، وتسللت الشمس بين الاوراق الغضة. وانتشر عطر طيب في كل مكان وراح يبعث احساسا عميقا بالسعادة وقالت احدى الورود: ماابدع وجودنا! اشعر كأني اود ان اقبل الشمس. فهي مشرقة ودافئة! واحب ان اقبل الورود ايضا وصورنا في الماء، والطيور البديعة في اعشاشها. ثمة طيور في عش فوقنا. تمد رؤوسها وتزقزق: «ويص، ويص» بصوت واهن. وليس عليها ريش، بينما للاب والام ريش. نعم الجيران لدينا، فوقنا وتحتنا الا ما اجمل حياتنا!

كانت الطيور الصغيرة التي فوق والطيور الصغيرة التي تحت متشابهة، اذ هي **عصافير** وقد انعكس عشها على الماء. وكانت الاباء والامهات عصافير ايضا، وقد احتلت عش سنونو خاليا من اعشاش السنة الماضية، واشغلته كأنه عشها.

وسألت فراخ العصافير وهي ترمق الريش على الماء: هل هذه صغار البط التي تسبح في البركة؟

فأجابت الام: اذا كان لابد من السؤال، فارجوكم ان تسألوا سؤالا

معقــولا . الا ترون ان ذلـك ريش ، وهـو القمـاش الحي للثيـاب التي البسهـا والتي ستلبســونهـا قريبـا؟ ولكن ثيـابنـا انعم . على اني اود ان يكـون معنـا في العش . فانه سيجعل العش دافئا . واني ليدفعني حب الاستطـلاع ان اعـرف سبب الذعر الذي اصاب البط توا . ولايمكن ان يكـون الـذعـر منـا بلاريب ، على الرغم من انني ازقزق عاليا . وينبغي للورود المغفلة ان تعـرف ذلـك ، غيـر انها جاهلة تمام الجهل . وهي تحـدق واحـدة في الاخـرى وتشم عطـرها . واني لمتعبة حقا من امثال هؤلاء الجيران ،

فقـالت الـورود : استمعوا الى الطيور الصغيرة فوقنا . انها تحاول ان تغــرد ، ولكنهـــا لاتستطيـــع ذلـك حتى الآن ، بل ستغـرد في الـوقت المناسب . اي بهجة تغمرنا من امثال هؤلاء الجيران .

وفجأة اقبـل حصـانان يتوثبان ليردا الماء . وكان صبي من الفلاحين يمتطي صهـوة احـدهما وهو يعتمر قبعة سوداء عريضة الحافة وقد خلع معظم ملابســه لكي يكـون بوسعـه ان يدخل بالحصان راكبا الى اعمق جزء من البـــركـة . وصفـر كمـا يصفـر الطـائـر . وقطف وردة وهـو يمـر بشجيـرات الـورد ورشقها في قبعته ثم واصل مسيره ، وهو يحسب نفسه في غايـة الجمـال . ونظـرت الـورود الاخرى الى اختهن وتساءلن اين يمكن ان تمضي ، ولكنهن لم يعرفن الجواب .

فقـالت احـداهن : اود ان اخـرج الى الـدنيـا ولـو مرة واحدة ، على الــرغم من جمـــال المكـــان في هذا المـــوطن من الاوراق النضـرة . فالشمس تشـرق دافئـة في النهار ، وبوسعنا ان ترى السماء اروع وهي تتألف في تلك الاشياء التي ترصعها .

وكانت تقصد النجوم ، اذ هي لاتعرفها .

فقـالت ام العصـافيـر : اننـا نجعـل البيت زاهيا ، مفعما بالنشاط .

ومـادام النـاس يقـولون ان عش السنونو يجلب الحظ، فانهم ستسرهم رؤيتنـا امـا في مايخص جيـرانـا ، فان شجـرة الورد تبعث الرطوبة في الجـدار ومن المحتمـل ان تزال، ولعـل حبـوبـا ستـزرع في مكانها . فالورود لانفع فيها سوى المنظر والرائحة، اولعل واحدة ترشق في قبعة . وقـد سمعت من امي انهـا تسقـط من اغصـانهـا كل سنة . وتحفظها زوجــة الفــلاح بوضعهــا في الملح، فيطلق عليهـا اسم فرنسي ليس بوسعي ان انطقـه . ثم ترش على النـار لاعطـاء عطر طيب . هذه، كما ترون، حياتها . فقد خلقت لتسر النظر والشم . فها انتم قد علمتم كل شيء عنها .

وعندما اقبل المساء ، تطايرت الحشرات في الهواء الدافيء وتحت الغمـامـات الوردية، وقدم البلبل وغنى اعذب الالحان للورود وقال ان كل شيء جميل كنور الشمس بالنسبة الى الدنيا وان الجميل خالد يحيا الى الابد . وخيل الى الورود ان البلبل يغني عن نفسه وذلك مايمكن لاي امـريء يحسبـه . ولم تتصـور قط ان الاغنية يمكن ان تشير اليها . وقـد كانت ، على ايـة حال، بهجـة لها وتساءلت في نفسها هل تصبح العصافير الصغيرة في الاعشاش بلابل .

فقـالت افـراخ العصافير فهمنا اغرودة هذا الطائر جيدا، ماعدا كلمة واحدة لم تكن واضحة . تلك هي «الجميل» فما معناها .

فاجابت ام العصافير: ليس شيئا ذا شأن . شيء يتعلق بالمظاهر كما في بيت النبيل ذاك . وللحمامات بيت خاص بها وتتناول كل يوم ذرة و حمص تنشـرهـا لها . وقد تناولت الغداء معها احيانا، وكذلك ستفعلون يومـا لانني أومن بالحكمـة : «قـل لي من صحبك، اقل لك من انت» وفي بيت النبيل طائران لهما رقبة خضراء وعرف على الرأس . وبوسعها ان ينشـرا ذيليهمـا واسعين كالمـروحـة، وتنعكس منها الوان زاهية تبهر

العينين. يسمى كل واحد من هذين الطائرين طاووسا، وهو ينتمي الى ما يوصف بالجميل، واذا مانتف قليل من ريشه فلن يظهر اجمل منا. ليتني انتف شيئا من ريشها لو لم يكن كبيرا جدا.

فصاح اصغر العصافير بصوت حاد: «سانتفها انا» ولم يكن هو نفسه قد نبت له ريش.

ويقيم في الكوخ زوجان متيمان، في ميعة الشباب، مجدان، نشطان فقد بدا كل ما حولهما جميلا مرتبا. وكانت الزوجة الشابة تخرج في الصباح الباكر ايام الاحد وتجمع باقة من اجمل الورود وتضعها في كأس من الماء على منضدة جانبية.

وقال الزوج وهو يقبل زوجته الصغيرة: «ارى ان اليوم هو الاحد.» ثم يجلسان ويقرآن الكتاب وقد شبك احدهما يد الآخر والشمس تشرق عليهما وعلى الورود الناضرة في الكأس.

فقالت ام العصافير وهي تنظر من عشها الى الحجرة: «هذا منظر ممل حقا» ثم مضت محلقة وتكرر الشيء نفسه في يوم الاحد التالي. وفي كل احد جمعت ورود يانعة ووضعت في كأس، ولكن شجيرة الورد ظلت تزدهي بجمال ورودها.

وبعد فترة نبت للعصافير الصغار ريش وارادت ان تطير لكن الام لم تسمح لهم فاضطروا للبقاء في العش وكانت الام وحدها هي التي تطير. وحدث في يوم من الايام ان ربط بعض الصبية فخا من شعر حصان في غصن شجرة. وعلقت رجلها قبل ان تنتبه الى الفخ الذي كاد ان يقطعها. وما اشد الالم الذي شعرت به! وركض الصغار وامسكوا بها بطريقة ليست رقيقة.

وصاحوا: «انه عصفور» ولم يطلقوا سراحها بل اخذوه معهم الى البيت، وكلما صاحت ضربوها على منقارها.

والتقـوا قرب البيت برجـل عجوز يعرف كيف يصنع صابون الحلاقة والغسيـل في قوالب وكـرات. وعندما رآى العصفور الذي جلبه الصغار الى البيت وقـالـوا انهم لايعـرفـون ماذا يفعلون به قال لهم : الانجعله جميلا؟

فسـرت رعشـة باردة في ظهـر العصفـورة لدى سمـاعهـا ذلك . وتناول العجـوز علبـة صغيـرة تحتـوي على صبـغ ذهبي لمـاع ثم امر الصغار باحضـار بيـاض بيضـة، لطـخ به العصفورة كلها ثم وضع عليها الصبغ الـذهبي وصـارت ام العـاصفيـر ذهبيـة اللون من رأسهـا حتى ذيلهـا. وبالرغم من انها لـم تفكر بمظهرها ، فان اوصالها جميعا ارتعشت. ثم مزق الصابوني خرقة من بطانة سترته الحمراء وجعلها مثل عرف الديك ولصقها على رأس العصفورة.

وقـال العجـوز: والان ستـرون ذات المعطف الذهبي تطير. واطلق العصفـورة التي طارت فزعـة حتى المـوت ونور الشمس يشرق عليها. فما اشد بريقها! وارتعب من منظرها كل العصافير وغراب ايضا، مع انه يعـرف كل شيء، ولكنهم تتبعـوهـا ليعـرفـوا ماهـذا الطـائـر الغريب. واتجهت العصفـورة مهمـومـة، مرعـوبـة الى بيتها وهي تكاد تقع على الارض من الاعياء. وتزايد سرب الطيور التي تبعتها وحاول بعضها ان ينقرها.

وصـاحـوا جميعـا: «انظـروا اليـه ! انظـروا اليه !» وصاحت الفراخ عندما اقتربت الام من العش ولم يعرفوها . انظروا اليه ! انظروا اليه ! لابد انه طاووس صغير لانه يتألق بكل الالوان. ان منظره يؤلم العينين كما قالت لنا أمنا: هذا هو الجميل.

ثم نقـروهـا بمنـاقيرهم الصغيرة فلم تستطع ان تدخل العش وكانت مرهقة فلم يكن بوسعها ان تقول «انا امكم». وتكاثرت الطيور الاخرى

على العصفـورة ونتفتهـا ريشـة بعد اخرى حتى سقطت وهي تنزف في شجيرة الورد.

فقـالت الورود: ايتها المسكينة. ارتاحي واستقري. سوف نخفيك واتكئي برأسك علينا.

ونشـرت العصفـورة جنـاحيهـا ثم ضمتها الى جسمها ثم ماتت بين الورود، جيرانها الطيبين الجميلين.

واقبــل صوت من العش: سق، سق! اين راحت أمنــا لانعلم عن ذلـك شيئـا. أهي احـدى وسائلها لترينا انا يجب ان نهتم بانفسنا؟ لقد تركت لنا البيت ا رثا، ولكنه لايمكن ان يكون لنا جميعا عندما تصير لنا عائلات، فمن سيملك البيت؟

فقـال اصغـرهم: لايمكن ان تمكثـوا معي عنـدمـا يزداد اهـل بيتي بزوجتي وصغاري.

فقال الثاني: سيكون لي زوجات واطفال اكثر منك.

وصاح الثالث: ولكنني اكبركم جميعا.

وغضب الجميع وتضاربوا بالاجنحة وتناقروا حتى خرجوا جميعا من العش. واستلقـوا مغتـاظين وقـد مالت رؤوسهم جانبا والتمعت عيونهم المبصـرة الى السماء. هذه هي حالهم اذا تجهموا. واستطاعوا جميعا ان يطيروا قليلا، وبالمران تعلموا ان يطيروا افضل. واتفقوا اخيرا على علامـة تميـزهم عن بعضهم البعض الآخـر، اذا مالتقـوا في هذه الدنيا بعد افتراقهم. تلك العلامة هي صيحة «سق، سق!» وخدش الارض ثلاث مر ات بالقدم اليسرى.

ونشـر اصغـرهم نفسـه، فقـد ترك وحـده في العش، وتمدد باقصى مايستطيـع فقـد اصبـح الآن مالـك البيت. غيـر ان مجـده هذا لم يدم طويـلا فقـد اضطـرمت النيـران اثنـاء الليـل واندلعت من نوافذ الكوخ

واحـرقت سقف العش وتـوهجت بشكـل مريع . واشتعل البيت جميعا وهلك العصفور الصغير معه، ونجا الزوجان بحياتهما . وعندما اشرقت الشمس، واستيقظت الطبيعــة رائقـة بعـد سبـات لطيف، لم يبق من الكـوخ الا اخشـاب سود متفحمـة، وقـد استنـدت الى المدخنة التي بقيت الشاخص الوحيد في هذا المكان . وكان الدخان الكثيف ما يزال يتعـالى من بين الانقـاض، ولكن شجيـرة الورد ظلت على الجدار من الخارج سالمة من اي ضرر، مزهرة ، زاهية كالسابق وقد انعكست كل وردة وكل غصن في الماء الرائق تحتها،

وقـال عابـر سبيـل : ما اجمـل الـورود الـزاهيـة على حائـط الكوخ المهدم . لايمكن تخيل صورة اجمل من هذه . يجب ان ارسمها .
واخرج المتكلم من جيبه دفتراً صغيرا مليئاً بالاوراق فقد كان فنانا واخذ يخطـط يقلم الـرصـاص الـدخان المتصاعد من الانقاض والاخشاب المحتـرقة، والمدخنة الشاخصة فوق الجميع التي بدت متداعية تماما وقـد انتصبت في المقـدمـة شجيـرة الورد الكبيرة المزهرة التي اضفت على الصــورة جمــالا ، ومن اجــل الــورد، في الحقيقـة، رسم هذا التخطيط . ثم اقبل عند الضحى عصفوران من العصافير التي ولدت هناك .

وتساءلا : اين البيت؟ واين العش؟ . «سق، سق!» لقد احترق كل شيء وكـذلـك اخـونـا معه . هذا كل ماجناه من احتفاظه بالعش . وقد نجت الـورود وتبـدو كسـابق عهـدهـا بخـدودها الحمر ولاتقلق نفسها بمصـائب جيـرانهـا . واني لن اكلمهـا . في رأيي ان هذا المكان قبيح غاية القبح!
ثم طار العصفوران .
وفي نهــار يوم مشـــرق، مشمس من ايـام الخـريف كأنـه من ايـام

منتصف، الصيف، كانت مجموعة من الحمام تتواثب في الساحة المرتبة في بيت النبيل امام الدرجات العظيمة. كان بعضها اسود والآخر ابيض وغيرها من الوان مختلفة، وريشها يتالق في ضوء الشمس. وقالت حمامة ام لفراخها: كونوا جميعا، ولا تتفرقوا فهذا خير لكم واجمل.

فتساءلت حمامة عجوز تحيط الخضرة والحمرة بعينيها: ماهذه المخلوقات الرمادية الصغيرة التي تتراكض وراءنا. اجل صغيرة رمادية.

ـ انها عصافير ـ مخلوقات صغيرة طيبة. , وبما اننا نتمتع باخلاق طيبة فاننا نسمح لها ان تلتقط بعض الحب معنا. وهي لاتقاطع حديثنا وتسحب ارجلها الشمال الى الوراء بشكل جميل.

وقد فعلت ذلك حقا وبرجلها اليسار ثلاث مرات وسقسقت فنعرف انها العصافير التي ترعرعت في العش على البيت الذي احترق.

وقالت العصافير: الطعام هنا جيد حقا.

وتبخترت الحمامات الواحدة حول الاخرى. ونفخت اوداجها. وفكرت في كل شيء لاحظته.

وقال احد العصافير: اترى هذه الحمامة؟ وكيف تبتلع الحمص؟ انها تتناول كثيرا وتختار افضل الاشياء. كيف ترفع هذه القبيحة الحاقدة ُقنزعتها!

والتمعت اعين العصافير بالحقد وقال احدها: تجمعوا ولاتتفرقوا ياذوي المعاطف الرمادية.

واستمروا على هذا المنوال وسيبقون كذلك الف سنة اخرى.

وتناولت العصافير طعامها في مأدبة رائعة بشجاعة وهي تستمع الى مايقال بانتباه شديد. ووقفت في صفوف كصفوف الحمام، ولكن

ذلـك لـم ينـاسبهـا . وبعـد ان شبعت ، تركت الحمام تتداول الاراء في مابينهـا ، وتسللت من اعمـدة سيـاج الحـديقـة . وكـان باب احـدى الحجرات في البيت المواجه مفتوحا ، فوثب على العتبة احد العصافير الذي شعر بالجرأة بعد وجبة الغداء وهتف : اني استطيع ان اغامر الى هذا الحد .

فقـال آخـر : وانـا استطيـع ان اغـامر مثل ذلك وابعد منه . وطار عبر الحجرة قائلا : غامر بكل شيء او لاتغامر ابدا . هذا مكان رائع احسبه عش انسان . ثم انظروا ! ماهذا؟

فقـد انتصبت امـام العصـافيـر انقـاض البيت المحتـرق . وكانت الورود مزهرة فوقها . وظهر انعكاسها في الماء الذي تحتها . ، واستقرت اخشاب سود متفحمة على المدخنة المتداعية ، فكيف حدث هذا؟

وكيف جاء الكـوخ والـورود في حجـرة في بيت النبيـل؟ ثم حاولت العصـافيـر ان تطيـر فوق الـورود والمـدخنـة . ولكنهـا ارتطمت بجدار اصم . فقـد كان ذلـك صورة ـ صورة كبيـرة جميلة ، رسمهـا الفنان عن تخطيطه الصغير .

فقالت العصافير : انها لاشيء ولكنها تبدو كالحقيقة . واظن ان هذا هو «الجميل» ابوسعك ان تفهم ذلك؟ اما انا لااستطيع .

ثم دخل بعض الناس الحجرة ففرت العصافير .

ومضت ايـام وسنين ، وظـل الحمام يهدل ولانقول يتشاجر ، بالرغم من انه فعل ذلك . وعانت العصافير من برد الشتاء ، ولكنها امضت اياما بهيجة في الصيف . فقد خطبت او تزوجت ، اوقل ماتشاء عن ذلك . وانجبت فراخا . وقد اعتبر كل واحد منها صغاره اعقل الفراخ واجملها . وطـار احـدهـا في هذا الاتجاه وطار آخر في ذلك الاتجاه ، وكلما التقيا قال كل منها «سق» وحرك قدمه ثلاث مرات الى الوراء . وظلت كبراهن

وحيدة، لاعش لها ولافراخ. وكانت امنيتها العظمى ان ترى مدينة كبيرة، فطارت الى كوبنهاگن.

وقرب القلعة التي على القنال، يمكن مشاهدة بيت فخم، رائع الزينة والاواني الفخارية. وكانت النوافذ في الاسفل اوسع مما في الاعلى. وعندما كانت العصافير تسترق النظر من خلالها كانت ترى حجرة كانها زنبقة ذات الوان جميلة متداخلة وفي الزنبقة تماثيل بيض لبعض بني البشر صنعت من مرمر، وقليل منها صنع من الجص، ولكن الاثنين سيان لدى العصافير. وعلى حافة السطح انتصبت عربة معدنية وخيول، وجلست الهة النصر، وهي من معدن ايضا، في العربة وهي تسوق الخيول. ذلك المبنى هو متحف ثورفالدسن. وقالت عصفورة فتية: ما ابهاه وما انصعه! لابد ان هذا هو الجمال ـ سق، سق، ولكنه اكبر من طاووس. وتذكرت قول امها في طفولتها: ان الطاووس من اعظم امثلة الجمال. ثم حطت في الفناء حيث كان كل شيء فخما. وكانت الجدران ملونة برسم سعف نخيل وفي وسط الباحة شجرة ورد كبيرة مزهرة، تمد اغصانها الغضة المليئة بالورود الشذية فوق احد القبور. وطارت اليها العصفورة الفتية لما رأت عصافير كثيرة عليها. وزقزقت وحركت قدمها ثلاث مرات وقد ادت التحية اثناء السنوات الماضية ولكنها لم تتلق من العصافير جوابا لان الاصدقاء الذين يفترقون نادرا مايلتقون وغدت هذه الطريقة في ازجاء التحية عادة فيها، وقد رد التحية عليها اليوم عصفورتان عجوزان في العش واخرى فتية من العائلة نفسها: صباح الخير. كيف الحال؟ فرصة سعيدة في لقائنا هنا! انه لمكان عظيم، ولكن لاشيء يؤكل فيه. هذا هو الجمال! سق، سق.

وخرج عدد غفير من الناس من الردهات الجانبية حيث تنتصب

التماثيل المرمرية، وتقدموا من القبر الذي ترقد فيه رفات الفنان العظيم الذي نحت هذه التماثيل المرمرية التي ينعكس من وجه كل تمثال منها سيماء المجد وهي تحيط بضريح ثورڤالدسن، وجمع بعض الناس اوراق الورد المتساقطة احتفاظا بها للذكرى. وكانوا جميعا قد قدموا من اماكن نائية، احدهم من انكلترة والاخرون من المانيا وفرنسا. وقطفت احدى السيدات الوسيمات وردة واخفتها في صدرها.

وخيل للعصافير ان الحكم في هذا المكان للورود وان المبنى باكمله قد بني من اجلها وهذا شرف عظيم حقا. وبما ان الناس جميعا قد اظهروا حبهم للورد، فقد فكرت العصافير انها يجب الاتتخلف في ازجاء احترامها.

وراحت تزقزق وتكنس الارض بذيولها ورمقت الورود بعين واحدة. ولم تدم التحديق فيها، فقد ادركت انها والورود اصدقاء قدامى، وهي فعلا كذلك. وقد سمح للفنان، الذي رسم شجيرة الورد وانقاض الكوخ، ان ينقلها ويزرعها في مكان آخر، فاعطاها الى المعمار، لانه لم ير اجمل من هذه الورود فزرعها قرب ضريح ثورڤالدسن حيث ظلت تزهر، صورة للجمال، وتنشر اورقها الشذية ليجمعها الناس و يحملوها الى بلدان قصية ذكرى المكان الذي تناثرت عليه.

فسألت العصافير الورود: هل حصلتم على مكان في المدينة. فاومأت الورود برؤوسها. وقد عرفت جيرانها الرمادية الصغيرة وابتهجت برؤيتها مرة اخرى.

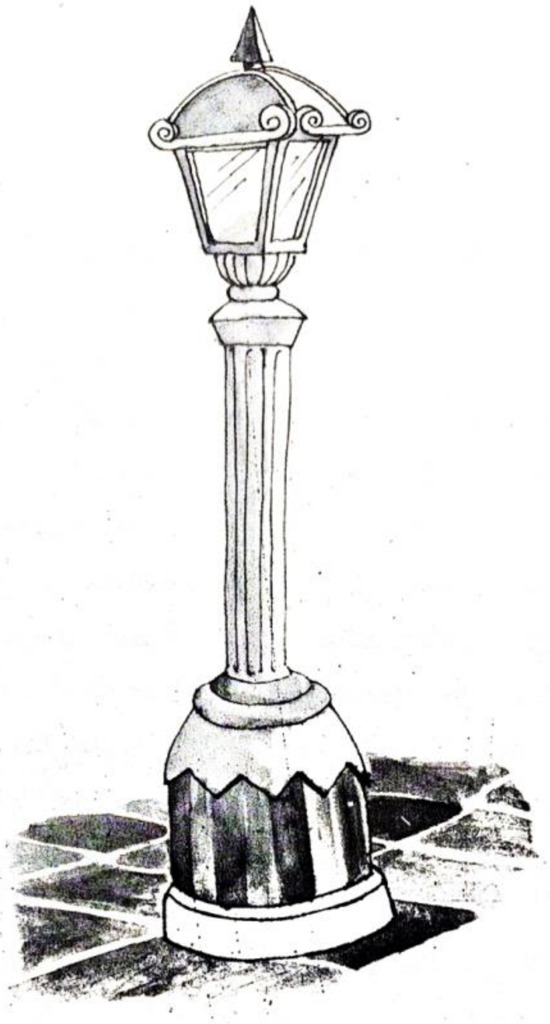
وقالت الورود: من دواعي السرور الاقامة والازدهار، هنا ولقاء الاصدقاء القدامى ورؤية وجوه مبتهجة كل يوم. وكأن كل يوم عطلة.

وحدثت العصافير احدها الآخر قائلة: اجل، هؤلاء هم جيراننا القدامى. اننا نتذكر اصلهم لدى البركة. سق، سق!

ما اشد ما كبروا! يبدو ان بعض الناس يكبرون وهو نيام. ها هي ذي ورقة ذابلة . . استطيع ان اراها بوضوح.

ونقروها حتى سقطت، ولكن شجيرة الورد ظلت تبدو اينع وانضر من ذي قبـل. وتـفـتحت الـورود في اشعـة الشمس على ضريـح ثور-فالدسن، فارتبطت باسمه الخالد.

مصباح الشارع القديم



هل سمعتم مرة بقصـة مصبـاح الشـارع القـديم؟ ان لم تسمعوا بها سأرويها لكم: كان مصباح قديم محترم كل الاحترام، امضى سنوات كثيـرة جداً في الخـدمـة وسيحـال الآن على التقاعد. وها هو في مكان آخر يرسل الضوء في الشارع. وكانت مشاعرهُ مثل مشاعر راقصة عجوز ترقص في المسرح آخر مرة وتعلم علم اليقين انها ستمكث في عليتها وحيـدة منسيـة. قلق المصبـاح قلقـاً عظيمـاً بشأن غده، لان يعلم انـه سيحضـر في بهـو المـدينـة اول مرة من اجـل ان يختبـره رئيس البلدية

الى ذلـك المكـان، وقـد كان هنـاك على كل حال، وبوسعه ان يعطي نوراً كما يفعل الآخران ولكن الخشبة ورأس الرنكة اوضحا بوقارتام ان « سراج الليل » لا يعطي ضوءً الا في اوقات معينة! فيجب الا يسمح له ان ينافسهما. فاكد لها المصباح القديم ان اياً منهم لايسعه اعطاء ضوء كافٍ ليحـل محـل مصبـاح شارع، ولكنهم لـم يؤمنـوا بشيء مما قال. ولمـا عرفـوا انـه لايستطيـع ان يعـرف اسم من سيخلفـه، فرحـوا بمـا سمعـوا، لان المصبـاح قد بلغ من الكبـر مبلغاً واصابه الوهن فلم يعد قادراً على الاختيار المناسب.

واقبلت في تلك اللحظـة ريـح مندفعة من منعطف الشارع ودخلت فتحـات التهـوية في المصباح القديم. فقالت: ما هذا الذي سمعت؟ أأنت مغـادر غداً؟ وهـل هذا هو المسـاء الاخيـر الـذي نلتقي فيه؟ اذن يجب ال انفحك هدية الوداع. سانفخ في فكرك لاجعلك في ما يقبل من الايـام قادراً على تذكـر كل ما رأيـت اوسمـعت في المـاضي، وسيكـون نورك البـاطني مشـرقـاً. بحيث تفهم كل ما يُقال اويُعمل في ايامك الراهنة.

فقـال المصبـاح القديم: هذه هدية عظيمة حقاً. واني لاشكرك من صميم قلبي. ولا ارجو الا ان لا يصهرونني.

فقـالت الـريـح: ليس هذا محتملاً الآن. وسانفخ فيك ذاكرة لكي تتلقى هدايا مشابهة اخرى تقضي بها شيخوختك بسرور.

فقـال المصبـاح: هذا اذا لم يكن مصيـري الصهـر، وهل ابقى في تلك الحال محتفظاً بذاكرتي؟

فقـالت الـريـح وهي تهب مبتعـدة: الا كن عاقـلاً ايهـا المصبـاح القـديم. وطلع البـدر في تلك اللحظة من ثنيات الغيوم فسألته الريح: ماذا تهدي المصباح القديم؟

فأجـاب القمـر: ليس بوسعي ان اهبـه شيئا. فعندما اكون في المحاق لايمنحني اي مصباح ضوء، على الرغم من انني اشرقت مرارا عليه.

وعنـدئذ توارى القمر وراء السحب لكي يتجنب اسئلة اخرى. وفي تلك اللحظة سقطت قطرة من سطح البيتَ على المصباح، فاوضحت القطـرة انهـا هديـة من تلك السحب الـرمـاديـة. ولعلهـا خيـر الهـدايا جميعاً. وقالت: سوف اتغلغل فيك لكي يكون بوسعك ان تصدأ واذا شئت، تتقوض فتات في ليلة واحدة.

غير انها بدت للمصباح هدية بائسة، وكذلك اعتقدت الريح، التي هتفت بانفـاس عالية. «الايعطي احد مزيداً؟ ألن يعطي احد مزيداً؟» ثم هوى شهاب مخلفا وراءه شريطا مضيئا.

وصـاح رأس الـرنگـة: ماهـذا؟؛ الم يهوي شهاب؟ اني لموقن انه دخـل المصباح. فاذا ماحاولت مثل هذه الشخصيات الكريمة المحتد ان تنال مثل هذه المنزلة فاننا ايضا نقول «طاب مساؤكم» ونذهب الى البيت.

وفعل الثلاثة ذلك في الوقت الذي القى المصباح القديم ضوء قويا باهرا حوله.

وقـال: هذه هبـة رائعـة. فقـد كانت النجـوم البهية متعة دائمة لي، فجعلتني دائمـا اشـرق بنور ابهى مما يسعني، وقد لاحظتني الآن، انا المصباح القديم المسكين، فارسلت لي هدية ستجعلني قادرا ان ارى كل شيء يخطر ببالي واضحا، صلباً.. كأنه مايزال شاخصا امامي وان يراني كل من يحبني، وهنـا تكمن اصـدق بهجـة، لان المتعـة التي لايشاركنا فيها الاخرون ليست الا نصف متعة.

فقالت الريح: هذا الرأي مما يشرفك، ولاجل هذا الغرض كان نور الشمـوع ضروريـاً. فان لم تضيء فيك هذه، فان قدراتك الخاصة لن

واعضاء المجلس البلدي ليقررا مدى صلاحيته للخدمة او عدمها. وهو يصلح للاستعمال في انارة سبيل اهل احدى الضواحي، او في معمل من المعامل في الريف. وان لم يكن صالحاً، فان سيرسل الى مسبك حديد لكي يصهر فيه. وفي هذه الحالة يمكن تحويله الى اي شيء؛ وتساءل في نفسه ان كان بوسعه عندئذ ان يتذكر انه كان ذات يوم مصباحاً من مصابيح الشوارع، فاقضه ذلك كثيراً.

ومهما يكن فان شيئاً واحداً يبدو اكيداً: انه سيفترق عن الحارس وزوجته، اللذين اعتبر عائلتهما مثل عائلته الخاصة.

علق المصباح في مكانه اول مرة في مساء اليوم الذي باشر فيه الحارس مهمات وظيفته: لقد مر وقت طويل منذ ان اصبح مصباحاً وبات الرجل حارساً. وكانت تلك الايام موضع فخر الزوجة، ولكنها نادراً ما تلطفت بالنظر الى المصباح الا اذا كانت مارة به ليلا وليس نهاراً. اما في السنوات الاخيرة عندما كبر الثلاثة ـ الحارس والزوجة والمصباح ـ وجهت عنايتها له، فنظفته وزودته بالزيت. وقد كان الزوجان مخلصين له حقاً ولم يخدعاه ويسلبا قطرة من الزيت المخصص له.

هذه هي الليلة الاخيرة للمصباح في الشارع وغدا يجب ان يمضي الى المدنية ـ شيئان قاتمان لا بد من التفكير فيهما. فلا عجب ان لم يرسل الضوء وهاجاً. فقد مرت في فكره قضايا كثيرة: كم من الناس انار لهم السبيل، وكم من الامور رأى، لعلها بقدر ما رأى رئيس البلدية والمجلس البلدي ـ على انه لم يعد يتفوه بشيء من تلك الافكار. فقد كان مصباحاً طيباً، شريفاً، لايؤذي احداً مهما كانت منزلته. وكلما خطرت في ذاكرته اشياء كثيرة، توهج النور فجأة، وحصلت له القناعة انه سيكون موضع اهتمام وتذكر.

وخطر ببـالـه : جاء ذات مرة شاب وسيم ؛ قبـل زمن طويل ، اتذكر لديـه ورقـة ورديـة ذات حافـة ذهبية ؛ فيها كتابة انيقة بخط نسائي قرأها مرتين وقبلهـا ثم رفـع نظـره اليّ بعينين تقـولان بوضـوح : إني اسعـد النـاس! . . لايعـرف احد سوانا ما كتب في رسالته الاولى من حبيبته . اجـل ، واتـذكـر عينين اخـريين . والعجيب حقاً كيف تقفز افكاري من شيء الى آخـر! فقـد مر موكب جنـازة . وقـد سجي شاب وأمرأة جميلة على تابـوت مزين باكـاليل الزهر وتحف به مشاعل فاقت ضيائي كثيراً . وتجمهـر النـاس في الشـوارع واقفين لدى بيـوتهم تأهبـا لمصـاحبـة المـوكب . وعنـدمـا مرت المشاعل ونظرت حولي رأيت شخصاً وحيداً اتكأ على عمـودي وانخـرط في البكـاء . لن انسى ابـداً تلكمـا العينين اللتين نظرتا اليّ .

هذه الافكـار واشبـاههـا اشغلت مصبـاح الشـارع القديم في المرة الاخيـرة التي سينيـر ضوؤه الشـارع . وسيعـرف الحارس في الاقل من سيعقبـه في حراستـه وقـد يهمس ببضـع كلمات ، غير ان المصباح لم يعرف من سيخلفه ، والا لا سرَّ له ببعض الملاحظات بخصوص المطر او الضبـاب ، واخبـره كم تلبث اشعـة القمـر على الشارع ومن اية جهة تهب الريح عموماً ، وغير ذلك .

ووقف على جسـر القنـاة ثلاثـة اشخـاص يرغبون في تزكية انفسهم لدى المصباح ، فقد كانوا يعتقدون انه يستطيع ان يوكل المهمة الى من يختـار كان الاول رأس سمكـة رنـاة بوسعـه ان يرسل نوراً في الظلام . واقتـرح ان يوضـع على عمـود النور اقتصاداً في الزيت . اما الثاني فقد كان قطعة خشب تالفة يمكن ان تضيء في الظلام . وقد عدت نفسها منحدرة من ساق شجرة عتيقة كانت ذات يوم فخر الغاية . وكان الثالث حشـرة الحبـاحب او سراج الليل ، لايدري المصباح كيف وجد طريقة

تنفع الاخرين في اقل تقدير. وان النجوم تفكر بذلك. فهي تظن انك وكل الانوار الاخرى فتيل شمع، وعلي ان اهبط الآن.

ثم استقرت الريح لترتاح.

فقال المصباح: فتائل شمع، حقا! اني لم امسكها يوما ولايحتمل ان افعل ذلك ابدا. ليتني اتأكد انني لن اصهر!

وفي اليوم التالي. ولعل من الافضل ان نتجاوز اليوم التالي. واقبل المساء. وكان المصباح مستقرا في كرسي كبير، وهل يمكنكم ان تحزروا اين ـ في بيت الحارس العجوز! الذي طلب الى رئيس البلدية واعضاء المجلس ان يصنعوا معروفا بالسماح له في الاحتفاظ بمصباح الشارع على ان يأخذوا بنظر الاعتبار خدمته الطويلة والمخلصة، فقد علقه هو نفسه واناره في اليوم الذي باشر فيه مهام وظيفته، قبل اربع وعشرين سنة. وقد اعتبره مثل ولده، اذ لم يكن له اولاد.

فاعطي المصباح اليه. واستقر في الكرسي الكبير ذي المسندين قرب المدفأة وبدا كأنه غدا اكبر حجما فقد ملأ الكرسي.

وجلس العجوزان الى عشائهما يرمقان بعيني الود المصباح القديم الذي يودان ان يفسحا له في المجال على المنضدة. وعلى الرغم من انهما يسكنان في قبو ينخفض ذراعين تحت الارض وعليهما ان يمرا في مجاز حجري ليصلا الى حجرتهما، فان المكان دافيء ومريح. وقد سمرت شرائط من قماش حول الباب ـ اتقاء الريح والبرد. وكان للسرير والنافذة الصغيرة ستائر، وبدا كل شيء نظيفا مرتبا. وعلى المنضدة لدى النافذة مزهريتا ن جلبهما بحار اسمه كرستيان من جزائر الهند الشرقية او الغربية، صنعا من فخار في هيئة فيلين، مفتوحي الظهر. وكانا مجوفتين وقد ملئا بالتراب. زرع في احدهما ثوم معمر او كراث، وهذه هي حديقة المطبخ؛ اما الفيل الثاني الذي يحتوي زهرة جيرانيوم

جميلة فقد اطلق عليه حديقة الزهور. وعلقت على الحائط صورة كبيرة ملونـة، تضم كل الملوك والاباطـرة في مؤتمر ڤينا. وعلقت ايضا على الحـائـط ساعـة تعمـل ولهـا تكتكـة، ولكنهـا تسبق دائمـا، وقـد قال العجوزان ان ذلك افضل من التقصير.

وطفق الاثنـان يتنـاولان عشـاءها ومصباح الشارع القديم يستقر في كرسي كبيـر جوار المـدفأة كمـا عرفنـا. وخيـل للمصباح كأن الدنيا قد دارت. ولكن الحـارس العجـوز نظـر بعـد برهة الى المصباح وتحدث عما مر بهما كليهما، في المطر والضباب، في ليالي الصيف العاصفة وفي ليـالي الشتـاء الطـويلة، وفي اثنـاء عواصف الثلج العاتية، عندما اشتـاق ان يكـون في البيت الـذي في القبـو. فشعر المصباح انه على مايـرام. ورأى كل ماحـدث بجـلاء تام، كأنـه يمـر امامه. حقا، لقد منحتـه الـريـح هديـة ممتازة. وكان العجوزان يكدان ويكدحان، ولم يتكـا سلا ساعـة واحـدة. ففي ايـام الاحـد عصـرا كانا يخرجان كتبا، وخصـوصـا كتـاب اسفـار كانا مولعين به ولعا شديدا. فكان الشيخ يقرأ بصـوت مسمـوع عن افـريقيا بغاباتها العظيمة وفيلتها، وزوجته تصغي اليه باهتمام، وهي ترمق بين حين وآخر الفيلين الفخاريين اللذين جعلا «سندانتين»

وقالت العجوز: بوسعي ان اتخيل اني ارى كل شيء.

وتمنى المصبـاح ان تكـون له شمعـة ذات فتيلة لكي تضـاء في داخله لكي يكـون بوسـع المـرأة ان ترى اصغـر التفاصيل بوضـوح كما يراها هو. فقـد رأى الاشجـار البـاسقـة باغصانها المتشابكة، والزنوج العراة على صهـوات الجيـاد، وقطعـان الفيلة تطأ نبـاتـات الخيزران باقدمها العريضة الثقيلة.

فتنهد المصباح القديم قائلا: مانفع كل امكاناتي ان لم اكن امتلك

شيئاً من الشموع؟ فليس لدى العجوزين سوى الزيت والشحم وهذان لايفيان بالمرام.

وجيء ذات يوم بمقدار كبير من اطراف الشموع الى القبو. وقد اشعلت الكبار. واحتفظت العجوز بالصغار لتشميع خيوطها. لذا فقد كان مايكفي من شموع، ولكن لم يخطر ببال احد ان يضع قطعة صغيرة في المصباح.

وفكر المصباح: هأنذا بقواي النادرة. امتلك طاقات كامنة ولكنني لااستطيع الا فادة منهما. فهما لايعلمان انني استطيع ان اغطي الجدران البيض بصور رائعة، او اغيرها الى غابات مهيبة او اي شيء آخر يتمنيانه.

على ان المصباح ظل نظيفا دائما، يلمع في احدى الزوايا حيث يجذب كل الابصار. واعتبره الغرباء سقطا تافها، غير ان العجوزين لم يباليا بذلك. فقد كانا يحبان المصباح.

وذات يوم ـ يوم ميلاد الحارس الليلي ـ اقتربت العجوز من المصباح والبسمة تعلو محياها وقالت في نفسها: سأضيء الانوار اليوم في شرف رجلي العجوز.

وقعقع المصباح في اطاره المعدني لانه اعتقد: «انني سيكون في داخلي نور» ولكن لم يوضع فيه شمع بل زيت كالمعتاد. واشتعل المصباح طوال المساء وبدأ يدرك ان هدية النجوم ستظل كنزاً مكنونا طوال حياته.

ثم حلم، لان الحلم لمثل من يتمتع لمثل من يتمتع بمثل قابلياته ليس عسيرا فظهر له ان العجوزين قد ماتا وانه اخذ الى مصهر للحديد. واصابه قلق شديد كقلقه اليوم الذي استدعي الى بهو البلدية. وبالرغم من انه منح قوة يمكنه بها ان يتقوض من الصدأ متى مايشاء فانه لم

يستغـل ذلـك. فالقي في المصهـر وتحول اي شمعدان انيق تتمنى ان تراه، شمعـدان اريـد له ان يحمـل شمعـة . وكان الشمعدان في هيئة ملاك يحمـل باقـة ورد صغيرة في وسطها توضع الشمعة . ويوضع على منضـدة كتـابة خضراء في حجرة لطيفة ، فيها كتب كثيرة ، وعلقت على الجدران صور رائعة .

كان صاحب الحجـرة شاعـرا ، ورجـلا ذكيا . وكان كل مايفكر به او يكتبه يتصور حوله ، وقد كشفت الطبيعة له عن نفسها احيانا في الغابات اللفـاء وفي احيـان اخرى في المروج البهيجة حيث تتبختر اللقالق ، او على متن سفينة تمخر عباب بحر زاخر تحت سماء زرقاء صافية او ليل داج متلألىء النجوم .

فقال المصباح بعد ان صحا من حلمه : يالهذه القوى التي امتلكها! ليتني صهـرت ! ولكن لا ، مادام العجـوزان على قيـد الحيـاة ، فانهما يحبـاني من اجـل ذاتي فقط . فهما يبقياني مشرقا ويجهزاني بالزيت . واني في وضع مترف مثل صورة المؤتمر التي يستمتعان بها .

وشعـر منـذ ذلـك الحين بالطمانينة في نفسه . وهل يستحق مصباح جدير بالاحترام حقا اكثر من ذلك . ؟

غصن التفاح المغرور



في شهر ايار كانت الريح ماتزال تهب باردة، ولكن الشجيرات والاشجار والحقول والازهار كانت تهتف مرحبة! جاء الربيع. وغطت الزهور البرية الاسيجة بشكل كثيف، وبدا الربيع منشغلا تحت شجرة تفاح صغيرة وراح يروي حكايته عن احد الاغصان المتدلية باوراقها الغضة وزهورها القرنفلية الناضرة التي تتفتح توا. وعرف الغصن جمال نفسه المتمثل في الاوراق والزهور. فلم تفاجئه دهشة لدى توقف عربة احد النبلاء التي تجلس فيها كونتيسة شابة في الطريق على مقربة منه:

وتقـول ان غصن التفـاح اجمل شيء وهو رمز الربيع في ابهى مظاهره. فاقتطعوا الغصن لها، ومسكته بيدها الرقيقة وحمته بمظلتها الحريرية. ثم توجهــوا بالعـربـة الى القلعـة ذات الـردهـات الفخمـة وحجـرات الاستقبـال الرائعة. وعلى النوافذ المفتوحة تخفق ستائر بيض ناصعة، وفي المـزهـريـات الشفـافـة اللامعة تنتصب زهور جميلة. وفي احدى المزهريات التي كأنها صنعت من ثلج تساقط توا، وضع غصن التفاح بين فروع غضـة صغيـرة من شجـرة زان، فبذا المنظر ساحرا مما اشاع الغرور في غصن التفاح فصار اشبه ببني الانسان.

ودخـل الحجـرة انـاس من مختلف الاوصاف والاشكال، كل على وفق مكانته في المجتمع فعبروا عن اعجابهم. ولم يبد بعضهم شيئا، واسرف غيرهم في التعبير، فتناهى في الحال الى علم غصن التفاح ان في اخـلاق النـاس فروقـاً كثيرة تضاهي تلك التي في النباتات والزهور فبعضهم للخيـلاء والتبـاهي، وآخرون يجاهدون كثيرا من اجل تحقيق شأنهم، بينمـا ينبغي تجنب البـاقين دونمـا خسـارة تذكـر بالنسبـة الى المجتمـع. هكـذا جرى تفكيـر غصن التفـاح وهـو واقف امـام النافذة المفتـوحـة، التي يمكن له منهـا ان يرى الى الحـدائق والحقول حيث الـزهـور والنبـاتـات تكفيـه ان يفكر بها ويتأملها، فبعضها غني وجميل وبعضها فقير وذليل.

وقال غصن التفاح: اعشاب فقيرة، حقيرة، ثمة فرق حقا بينها وبين من هم امثالي. فما اتعسهم ان كان بوسعهم ان يشعروا شعور من هم في منزلتي! ثمة فرق لاريب فيه، ولابد ان يكون، والا لكنا جميعا متساوين.

ونظر غصن التفاح بعين العطف عليهم، وخصوصا تلك الزهرة التي توجد في الحقول والوهاد، ولايحفل احد بها ويجمعها في باقة، فهي

مبتـذلـة، ويعرف انها تنبت حتى بين بلاطات الطرق، وتخرج فروعها في كل مكـان مثـل اي عشب ضار، وهي تحمـل اسما منكرا هو «زهرة الكلاب» او الهندباء البرية.

وعـاد غصن التفـاح يقـول:ايتهـا النبـاتـات الفقيرة، الحقيرة، ليس ذنبكم ان تكـونـوا بمثـل هذا القبـح وتحملوا مثـل هذا الاسم المنكر، فلابد ان يكون فرق بين النبات كما هو بين الانسان.

فصاح شعاع الشمس: «اي فرق!» وهو يقبل غصن التفاح المزهر ثم قبل الهندباء الصفراء التي في الحقول. كلهم اخوة. وقبلهم شعاع الشمس جميعا ـ الزهور الفقيرة والزهور الثرية.

ولم يخطـر ببـال غصن التفـاح قط محبة الله التي لاحدود لها، التي تشمـل كل خلائقـه، التي تحيـا وتـدب بامـر منه، ولم يفكر قط بالخير والجمـال الكـامنين في اغلب الاحيـان، ولكنهمـا لن يظـلا في طي النسيـان من لدنـه، سواء في اضعف مخلوقـاتـه ام في الانسـان ايضـا فشعاع الشمس، وخيط النور، افضل علما.

قال شعـاع الشمس يخـاطب غصن التفـاح: انـك لاتـرى بعيـدا، ولاتبصر بوضوح. فما النبتة الحقيرة التي تشفق عليها؟

فأجـاب الغصن قائـلا: الهنـدبـاء، فلم يحدث ان جمعها احد في باقة بل هي غالبا ماتداس بالاقدام، وهي كثيرة، واذا ما صارت بذورا، صارت زهـوراً كالعهن الذي يتطاير صغارا فوق الطرقات ويتعلق بثياب النـاس. ولا يعـدو ان يكـون ادغـالا، ولكن لابـد من الادغال. واني لاحمد الله انني لم اخلق على شاكلة هذه الزهور.

واقبـل في الحــال جمـاعـة من الاطفـال، كان اصغـرهم يحمله الآخرون وعندما اجلس على العشب بين الزهور الصفر، ضحك فرحا ورفس برجليـه الصغيـرتين وتـدحرج وقطف الزهور الصفر وقبلها ببراءة

طفـوليـة . وقطـع الاطفال الكبار زهورا ذات سيقان طويلة ولفوا اصولها حول بعضها ليصنعوا اطوافا، فصنعوا اول ماصنعوا قلادة للرقبة وواحدة اخـرى عبـر الكتفين، تتـدلى حتى الخصـر، ثم اكليـلا يلبس على الـرأس، فبـدوا في ابهى منظـر في اكـاليـل الـزهـور الذهبية والسيقان الـزمـرديـة . وجمـع اكبر الاطفال سنا الزهور الذابلة التي تجمعت فيها البذور في هيئة تويج ريشي . هذه الزهور المتطايرة بارعة الجمال وتشبه الـريش او الـزغب الناعم كالثلج . وقربها الاطفال من افواههم وحاولوا ان ينفخـوا التـويـج كله بنفخـة واحـدة . فقد قالت لهم جداتهم ان من يفعل ذلك سيحصل على ثياب جديدة قبل انتهاء السنة . فارتفع بهذا قدر الزهرة المحتقرة الى مكانة رفيعة، تكاد تبلغ التقديس .

فقال شعاع الشمس : أترى ، أترى جمال هذه الزهور؟ اترى قوتها في اعطاء البهجة . ؟

فاجاب غصن التفاح : اجل ، الى الاطفال .

وجـاءت عجـوز تسعى في الحقـل على هون وبيدها نصل سكين، وشـرعت تحفـر جذور بعض نبـاتـات الهندباء وترفعها . كانت تريد ان تصنـع لنفسهـا من بعضهـا شايا، وتبيع مابقي الى العطار وتحصل منها قليلا من المال .

فقـال غصن التفـاح : ولكن للجمـال قيمة اسمى من هذا كله : فلا يسمح بدخول ملكوته الا للصفوة المختارة ، فثمة فرق بين النباتات كما هناك فرق بين بني الانسان .

ثم تحـدث شعـاع الشمس عن المحبـة الالهيـة غيـر المتناهية كما تتجلى في خليقته، وفي كل مايحيا وتوزيع هباته عليهم بالتساوي .

فقال غصن التفاح : هذا رأيك .

ثم اقبل بعض الناس ودخلوا الحجرة، وكانت الكونتيسة الشابة بين

الداخلين ـ تلك الغادة التي وضعت غصن التفاح في المزهرية الشفافة تحت اشعة الشمس البهيجة. وحملت في يدها شيئا كأنه الزهرة. وكانت تخفيه في ورقتين او ثلاث اوراق كبيرة كأنها درع يقيها من التيارات الهوائية وعصف الرياح، وحملتها بعناية اكثر مما حملت غصن التفاح. ورفعت الاوراق الكبيرة بحذر شديد فظهر تويج البذور المريشة لزهور الهندباء الصفر المحتقرة: هذا ما قطفته السيدة بعناية وحملته محفوظا برفق الى البيت لئلا يتطاير، واخرجته سالما من اي ضرر ودهشت من شكلها الجميل وخفتها وتركيبها

فهتفت: انظر بديع صنع الله في هذه الزهرة الصغيرة! سارسمها مع غصن التفاح. فكل امريء يعجب بجمال غصن التفاح، ولكن، هذه الزهرة المتواضعة حباها الله نوعا آخر من الحسن. وبالرغم من انهما يختلفان في المظهر، فانهما من ملكوت الجمال.

ثم قبل شعاع الشمس الزهرة المتواضعة وقبل غصن التفاح المزهر الذي بانت على وريقاته حمرة خجل وردية.

حورية البحر الصغيره



كان المـاء في عرض البحـر ازرق كابدع زهور العنبر ورائقا كاصفى البلور، ولكنـه عميق ـ عميق جدا لا يسبـر غوره حبـل، ولابد من وضع ابـراج كنـائس كثيرة واحدا فوق آخر لكي تصل بين القاع والسطح. هناك يسكن رجل البحر.

ولايحسبن احـد ان الارض هناك ليست سوى رمال بيض، قاحلة. كلا، فالتربة تخرج كل عجيب من الاشجار والزهور، اوراقها وسيقانها لدنـة يبعث فيهـا الاضطراب اقل حركة من الماء كأنها مخلوقات حية.

وتنسـاب بين اغصـانها اسماك كبيرة وصغيرة كالطيور بين الاشجار التي على الارض. وينتصب في اعمق الاغـوار قصـر ملك البحار، جدرانه من مرجـان ونـوافـذه الطويلة المستدقة من اصفى الكهرمان وسقفه من المحـار الـذي يفتـح ويغلق كلمـا مر به تيـار، فيبدو رائعا اذ ان في كل صدفة محارة تليق ان ترضع تاج ملكة من ملوك الارض.

وقـد ترمـل ملك البحـار منذ مدة طويلة، فعجلت امه العجوز تعنى بشؤون القصـر. وكـانت امـرأة حكيمـة ولكنهـا كثيـرة الاعتداد بكريم محتـدهـا مما حولها ان تضع على ذنبها اثنتي عشرة محارة، في الوقت الذي لاتحمل غيرها من الكرائم سوى ستا. وهي خليقة بالثناء في كل ما عدا ذلـك وخصـوصـا في مايتعلق برعـايـة حفيـداتهـا الاميـرات الصغيرات، الست الجميلات، وقد كانت الصغرى اجملهن جميعا. صافيـة البشـرة، رقيقتهـا كأنهـا ورقـة ورد، وعينـاهـا رزقـاوان كاعمق البحار، وليس لها قدمان،كالاخريات، وينتهي بدنها بذنب سمكة.

وكان لهن مطلق الحرية في اللعب طوال النهار في حجرات القصر الفسيحـة تحت المـاء حيث تنمـو الزهور على الجدران. وعندما تفتح النـوافـذ. الكهرمائية الواسعة تدخلها الاسماك سابحة كما تدخل طيور السنـونـو بيـوتنـا عنـدمـا نفتح النوافذ، غير ان الاسماك كانت تأتي الى الاميرات مباشرة وتأكل من ايديهن.

وكـان امـام القصر حديقة غناء ذات اشجار حمر مشرقة واخرى زرق دكنـاء، تتألق ثمـارهـا تألق الـذهب وزهـورهـا تشبه شرر النار ويسمع لاوراقهـا حفيف دائم. وكـان الـرمـل الناعم منثورا على الارض ازرق كلهب الكبريت.

وكـان لكـل اميـرة رقعـة من الارض في الحـديقـة يمكنها ان تقلبها وتزرعها كما تشاء فنثرت احداهن البذور لكي تخرج في شكل حوت.

وفضلت اخرى شكل حورية بحر صغيرة، غير ان الصغرى بذرت زهورها في دائرة لتحاكي الشمس، واختارت الزهور حمرا كما تبدو الشمس لها. وكانت طفلة فريدة، كثيرة الصمت، عميقة التفكير. ولم تكن تطلب شيئا، فضلا عن الزهور الحمر التي تشبه الشمس في الا عالمي سوى تمثال جميل لشاب وسيم نحت من مرمر ابيض خالص غرق عندما تحطمت احدى السفن فاستقرت على قاع البحر. وزرعت صفصافه حمراء الى جانب التمثال. وعندما كبرت الشجرة تدلت فروعها الفضة فوقه حتى كادت تبلغ الرمال الزرق حيث بدت الظلال بنفسجية وهي تتراقص تراقص الاغصان.

ولم يكن يسر الاميرة شيء كسماعها انباء العالم العلوي. فكثيرا ما كانت تسأل جدتها ان تحدثها عن كل ما تعرف عن السفن والمدن والناس والحيوانات واجمل ما استهواها ان الزهور تنشر شذاها في الارض بينما زهور البحر لايسعها ذلك، وان الغابات خضر وان الاسماك بين اشجارها ترسل اغاريدها صداحة، مطربة، تبعث النشوة في نفوس سامعيها. وكانت جدتها تقصد الطيور الصغيرة بما اسمته اسماكا والا لما ادركت المستمعات الصغيرات معنى قولها. لانهن لم يرين من قبل طيرا.

وقالت الجدة تخاطبها: واذا بلغت الخامسة عشرة سيؤذن لك بالخروج من البحر والجلوس على الصخور في ضوء القمر ومشاهدة السفن الكبيرة مبحرة. وسوف ترين الغابات والمدن. .

وسوف تبلغ احدى الاخوات الخامسة عشر في العام المقبل، ولما كانت كل واحدة اصغر من اختها سنة واحدة، فكان على الصغرى ان تنتظر خمس سنوات قبل ان يحين دورها للخروج من قاع المحيط ورؤية العالم العلوي على ان الكبرى عاهدت اخواتها ان تروي لهن

ماتشـــاهـده و مـا اجمـل شيء يجلب انتبـاههـا في اليـوم الاول، لان جدتهن لم تحدثهن عن كل شيء .

ولم تكن اي من الاميـرات اشـد شوقـا الى دورها من الصغرى التي عليها الانتظار الى ذلك اطول منهن، فخلدت الى التكتم والتأمل. وما اكثـر الليـالي التي وقفت فيهـا لدى النـافـذة المفتوحة، والتحديق نحو الاعلى خلال الماء الازرق القاتم ، ومراقبة الاسماك وهي تلطم البحر بزعانفها واذنابها. واستطاعت ان ترى القمر والنجوم التي بدت شاحبة حقـا، بالـرغم من انهـا اكبر، اثناء رؤيتها من خلال الماء، مما تبدو لنا واذا ما انسـاب شيء يشبـه الغمـامـة السـوداء بين النجوم وبينها، فانها تعـرف انهـا امـا ان تكـون حوتا يسبح فوقها او سفينة مليئة ببني البشر، ولعـل احـدا منهم لم يحلم ان الحـوريـة الجميلة الصغيرة كانت واقفة تحتهم تمد يديها البيضاوين الى الاعلى نحو قاعدة سفينتهم.

وبلغت الاميـرة الكبـرى الخـامسة عشرة، فسمح لها ان تصعد الى سطح البحر. وروت لاخواتها شيئا كثيرا لدى عودتها، ولكنها قالت ان اكثر الاشياء متعة هو الاستلقاء على الشاطيء الرملي للبحر الهاديء و تأمل المدينة الواسعة قرب الساحل، حيث الانوار تتلألأ مثل مئات من النجـوم، والاصغـاء الى انغـام المـوسيقى، وضجيـج العربات وجلبه النـاس، ورؤيـة الابـراج، وسماع الاجراس تقرع. وازداد اشتياقها الى كل هذه الاشياء لانها تستطيع الاقتراب منها.

ومـا كان اشـد انتبـاه الاخت الصغرى! وعندما حل المساء ، وقفت الى النـافـذة وحدقت خلال الماء الازرق القاتم الى الاعلى وهي تفكر في المـدينـة الواسعة بجلبتها ولغطها، حتى خيل اليها انها تستطيع ان تسمع كل شيء من مكانها!

وفي السنـــة الثـانيـة أذن للاخت الثـانيـة بالصعـود الى وجـه المـاء

والسباحة حسب مشيئتها. فارتفعت عند غروب الشمس. وقد بدا لها ذلك اجمل منظر. وقالت ان السماء كلها ظهرت كأنها الذهب، اما الغيوم فقد فاق جمالها كل وصف. وكانت سحب حمر واخرى بنفسجية تمر سراعا فوق رأسها، وطار اسرع منها سرب من البجع البري، يشبه وشاحا ابيض، عبر البحر نحو الشمس الغاربة. وسبحت هي ايضا نحوها ولكن الشمس غابت وتلاشت الالوان الوردية من على سطح الماء.

وفي السنة التالية صعدت الاخت الثالثة. وكانت اكثرهن جرأة فسبحت في نهر يصب في البحر. ورأت تلالا خضرا جميلة تغطيها الكروم. وتلوح من بين الغابات الجليلة قلاع وحصون. وسمعت تغريد الطيور، وكانت الشمس دافئة فاضطرت مرارا ان تغوص تحت الماء لتبترد وخصوصا وجهها الملتهب. والتقت في رافد صغير بزمرة من اطفال البشر العراة يلعبون في الماء. وارادت ان تلعب معهم، غير انهم ولوا منها في ذعر شديد. ثم اقبل حيوان اسود صغير (وهي تعني كلبا لانها لم تر كلبا من قبل) ونبحها نباحا شديدا فارتعبت وسعت تريد بلوغ البحر الفسيح، ولكنها لم تنس الغابات الجميلة او التلال الخضر او الاطفال الجميلين القادرين على السباحة في الماء وان لم يكونوا يمتلكون زعانف كالسمك.

وكانت الاخت الرابعة اقل جرأة، فمكثت في عرض البحر واكدت ان ما وصلت اليه ابدع مكان حيث بوسع المرء ان يرسل البصر اميالا حوله، والسماء تبدو فوق رأسه مثل قبة من زجاج. ورأت سفناً ولكن على بعد.

ثم جاء دور الاخت الخامسة التي كان مولدها في الشتاء. فرأت ما لم تر الاخريات اول ماصعدن. وقد بدا البحر شديد الخضرة. وكانت

جبـــال هائلة من الثلج تعـــوم في كل الانحـاء، كل واحـد منهـا يشبـه اللؤلؤة، كمـا قالت في نفسهـا، ولكنهـا اكبـر من المبـاني التي عمرها الانســـان. وتتلألأ تلألؤ المـاس. وجلست والـريـح تداعب شعـرهـا الطويل وراحت السفن تنطلق في فزع عظيم كأنها تخشى الاقتراب من مجلسهـا، ولكن السمـاء ادلهمت عنـد المســاء، فابرقت وارعدت، ورفـع البحـر المكفهر جبال الثلج الهائلة عاليا، فاضاءها وميض البرق الاحمـر. فطوت السفن قلوعها، واصاب ركابها الرعب،. بينما كانت الاميـرة جالســة بهـدوء على كتلة الجليـد العـائمة وهي تراقب خفقات البرق الازرق متعرجة على صفحة البحر المشرق.

وقـد فتنت كل واحـدة من الاخـوات عنـدمـا صعـدت اول مرة الى سطـح المـاء بكـل مارأت من جديـد وجميـل، ولمـا شببن عن الطوق وتمتعن بالحرية في الصعود متى شئن، فقد غدون لايكترثن بمثل هذه النـزهـات، بل صارت انفسهن تشتاق الى العودة الى الماء. وفي نهاية الشهر صرحن ان الحياه في قاع البحر اجمل والخلود الى بيتهن اكثر مسرة.

وكثيـرا ما تشـابكت الاخـوات الخمس بالاذرع عند المساء ويرقبن الى وجـه المـاء، رافعـات اصـواتهن الجميلة، اعـذب من صوت اي انســـان واذا ماهبت عاصفـــة، توقعن ان تغـرق احـدى السفن، فكن يسبحن امـامهـا ويغنين باحلى الالحان عن المسرات التي تحت الماء، وهن يلتمسن البحـارة الا يخشـوا من النـزول تحت الماء، غير انهم لايفهمـون كلامهن ويحبســونـه عويـل الاعـاصيـر، فلا يـرون بديـع الاشياء تحت البحر، لان السفينة اذا ماغاصت، فان الرجال يغرقون، ولايصل قصر ملك البحار سوى جثثهم.

وعنـدمـا كانت الاخـوات يرتفعن خلال المـاء متشابكات بالاذرع،

كانت الاخت الصغرى تقف وحيدة تتأملهن وتوشك ان تبكي، غير ان الحوريات لادموع لهن، لذا كان شقاؤهن عظيما.

وقـالت: ليتني بلغت الخـامسة عشرة، اذن لاحببت العالم العلوي والكائنات التي تقطنه.

واخيرا بلغت الخامسة عشرة من العمر..

فقـالت لهـا جدتها ارملة الملك الراحل: هاانت ذي بلغت الرشد، فدعيني ازينك كما زينت اخواتك.

ثم رشقت في شعرها اكليل زنبق ابيض، كل ورقة منه نصف لؤلؤة. وأمرت السيدة العجوز ان تثبت ثماني صدفات كبيرة بذيل الاميرة لتدل على سمو مقامها.

فقالت الحورية الصغيرة: ولكنها تؤذيني كثيراً.

فردت السيـدة العجـوز عليهـا: من اجـل الـزهو، لابد من احتمال الالم وماعظم سعادتها لو انها القت كل معالم الابهة هذه وتخلت عن هذا الاكليل الثقيل وتزينت بزهور حمر من حديقتها، ولكن لم يكن لها مفر من ذلك. وهتفت وداعا. ورقت خفيفة مثل فقاعة الى وجه الماء.

وكـانت الشمس قد غربت عنـدما رفعت الاميرة رأسها فوق الموج، غيـر ان الغيم مازال بلون القـرنفـل محفـوفا بوهج الذهب. وتألق الماء بكـل بهـائه في ذلك اللون الوردي الخفيف. وكان الهواء رقيقا، لطيفا والبحـر هادئـا، وقـد استقر على سطحه سفينة كبيرة ذات ثلاث صوار. ولم يرفـع الا شراع واحـد، فلم تتحـرك نسمـة. وجلس البحـارة على الاشرعة والامراس. وكانت الالات الموسيقية تصدح بالالحان وترتفع الاصـوات بالغنـاء. وعنـدمـا اشتـدت حلكـة المسـاء، انيـرت مئات الفـوانيس الملونـة، كأنها اعلام كل الامم خفاقة في الهواء. وسبحت حورية البحر الصغيرة قريبا من نافذة المقصورة، وكلما رفعها الموج،

اختلست النظر من خلال الزجاج الشفاف ورأت عددا من الاشخاص في احسن هندام، ولكن كان اوسمهم امير ذو عينين سوداوين واسعتين، لم يتجاوز السادسة عشرة. وكانوا يحتفلون بعيد ميلاده في مثل هذا المهرجان العظيم. ورقص البحارة على متن السفينة وعندما خرج الامير اطلق اكثر من مئة صاروخ انارت الجو حتى غدا كأنه النهار في اشراقه، فارتعبت الحورية الصغيرة رعبا شديدا جعلها تغوص تحت الماء، ولكنها عادت فاخرجت رأسها مرة اخرى، وبدت نجوم السماء كأنها تتساقط عليها فلم تكن قد رأت مثل هذه الالعاب النارية من قبل. شموس تلقى شررا. واسماك نارية جميلة تنطلق سراعا في السماء الزرقاء، وقد انعكست كل تلك الاعاجيب على صفحة البحر الهادئة واشرقت السفينة بتلك الانوار الساطعة حتى بانت كل الحبال الدقيقة ومضى الليل الى أواخره، بيد ان حورية البحر الصغيرة لم تبارح عيناها السفينة او الامير الوسيم. واطفأت الفوانيس الملونة. وكفت صواريخ الالعاب النارية عن الاطلاق. اما في اعماق البحر فقد حدث لغط وعلت جلبة، ولكن الحورية مابرحت جالسة تتأرجح فوق الماء تعلو وتهبط لكي تسترق النظر الى المقصورة.

ثم راحت السفية تتحرك مسرعة، ورفعت القلوع واحدا بعد آخر، وتكاثرت السحب في السماء، وشوهد وميض البرق من بعيد. واقبلت عاصفة عاتية، فطوى البحارة الاشرعة مرة اخرى. وراحت السفينة يتقاذفها. البحر الغاضب على امواجه الهائلة التي تشبه الجبال السود الشامخة. وكادت تبلغ اعلى الصواري. وجعلت السفينة تهبط كالبجعة بين الامواج الجبارة، ثم تعود لترتفع فوق المياه التي تشبه الابراج المتطاولة. وخيل الى حورية البحر الصغيرة انها طريقة بهيجة من وسائل الابحار المسلية، ولكن فكر البحارة كان مختلفا والسفينة

راحت تتصدع وانخلعت الالواح السميكة تحت ارتطام الموج المتكرر وتسرب الماء فيها، وتهشم الصاري كما تتهشم القصبة ومالت السفينة الى جانب. وواصلت المياه التدفق الى داخلها. وادركت الحورية الصغيرة ان البحارة صاروا الآن في خطر فاضطرت هي نفسها ان تتحاشى اخطار الالواح والاخشاب المتناثرة من السفينة. فوق المياه. وساد الظلام الحالك لحظة فلم تر شيئا، وعندما انار البرق صفحة السماء استطاعت ان تتبين كل من عليها وبحثت بشكل خاص عن الامير الشاب، الذي شاهدته يغوص في الماء عندما تحطمت السفينة. وسرتها فكرة نزوله اليها، غير انها تذكرت ان بني البشر لايستطيعون العيش في الماء، وانه سيموت حالما يصل الى قصر ابيها. ولكن يجب الايموت، فسبحت اليه بين الواح السفينة واخشابها التي تناثرت فوق الامواج العاتية غير ابهة الى انها قد تمزقها اربا فغاصت عميقا تحت الماء، ثم ارتفعت بين الامواج. واستطاعت اخيرا ان تصل الامير الشاب الذي لم يكن بوسعه ان يقارع البحر العاصف. وقد خارت قواه وتراخت ذراعاه وساقاه، واغمضت عيناه الجميلتان. ولولا مجيء الحورية لنجدته لمات. فرفعت راسه فوق الماء، وجعلت الامواج تنقلهما حيثما تشاء.

وعند الصباح هدأت العاصفة. ولم يبق من حطام السفينة شيء. وارتفعت الشمس، ترسل اشعتها، من الماء. وبدت كأنها تبث الحياة في خدي الامير، غير ان عينيه بقيتا مغمضتين. وقبلت الحورية جبينه العالي الصقيل، ومسدت له شعره المبلل وردته الى الوراء، وحسبته يشبه تمثال المرمر في حديقتها وعادت تقبله. وتمنت لو يبقى حيا.

وصار الاثنان على مرأى من الارض. فابصرت جبالا زرقا شامخة،

فوق ذراها بان الثلج ابيض ناصعا كأن سربا من البجع يطير فوقها. وتحتها، قرب الساحل تمتد غابات خضر جميلة، وامامها مبنى فخم. وقد نمت في حديقته اشجار البرتقال والاترج. وانتصبت امام الباب اشجار نخيل باسقة. وقد كون البحر في هذا المكان خليجا صغيرا. وكان الماء هادئا جدا بالرغم من عمقه الشديد. فسبحت بالامير الى جرف الصخور حيث صنعت الرمال البيض كومة ناعمة. فاضجعته عليها.

ورنت الاجراس في ذلك المبنى الابيض الفخم وخرجت جماعة من الفتيات الى الحديقة. ومضت حورية البحر الصغيرة سابحة حتى اختبأت وراء صخور عالية شاخصة من الماء. وغطت رأسها وصدرها بالزبد لئلا يرى محياها، ثم راحت تراقب مجيء احد ليمد يد العون الى الامير.

ومالبثت ان قدمت احدى الفتيات الى حيث كان الامير مستلقيا وبدا الرعب عليها لحظة، ثم عادت لتأتي ببعض صواحبها. فرأت الحورية ان الامير دبت اليه الحياة وابتسم لمن حوله. ولكن لم يبتسم لها لانه لم يدر انها قد انقذته فاستولى عليها الكرب عندما اخذته الى المبنى فغاصت في الماء حزينة الفؤاد. وعادت الى قصر ابيها.

وقد كانت دائمة الصمت والتأمل فقد اضحت اليوم اكثر صمتا وتأملا. واستفسرت اخواتها عما رأت اول مرة تخرج فيها، بيد انها تنبس لم ببنت شفة.

وكانت تصعد في الغدو والآصال الى المكان الذي تركت فيه الامير. فرأت الثمار والبستان تنضج، ثم رأتها تجنى. وشاهدت الثلوج تذوب عن قمم الجبال الشاهقة، بيد انها لم تر الامير، فكانت تعود الى بيتها اشد حزنا من ذي قبل. وكانت سلوتها الوحيدة ان تجلس

في حديقتها الصغيرة وتطوق بذراعيها التمثال المرمري الجميل الذي يشبه الامير. وكفت عن العناية بالازهار، فراحت تنمو كأنها في برية، فغطت الممرات جميعا وتشابكت سيقانها الطويلة واوراقها باغصان الشجر، فالقت تحتها ظلالا كثيفة.

ولم يعد بوسعها اخيرا ان تقاوم ، ففتحت قلبها الى احدى اخواتها، التي مالبثت الاخريات جميعا ان عرفن السر منها، ولم يبحن به لاحد سوى اثنتين من الحوريات الاخريات اللتين لم يفشينه الا الى صديقاتهن الحميمات، ومن المصادفات ان تكون احداهن على معرفة بالامير. فقد شهدت المهرجان الذي اقيم على ظهر السفينة، فاخبرتهن من اين جاء واين تقع مملكته.

فقالت الاميرات الاخريات »هيا، ياأختنا الصغيرة: وشبكن اذرعهن وصعدن في صف طويل وخرجن من البحر في مكان وراء قصر الامير.

بني القصر من حجر اصفر ساطع، ويرقى اليه بدرجات مرمرية عريضة واذا نزلت بلغت بادناها البحر. وتنهض فوق القصر قباب ذهبية فخمة، واقيمت تماثيل من المرمر، تحاكي الحياة، بين الاعمدة التي تحيط بالصرح. ويمكن للمرء ان يرى من خلال زجاج النوافذ الشفاف. الى داخل الحجرات الواسعة، التي اسدلت عليها ستائر نفيسة من حرير وسجف فاخرة، وزينت الجدران بصور واسعة، فيها بهجة للناظرين.

وبعد ان عرفت اين يعيش الامير، امضت اماسي كثيرة وليالي عديدة في المياه الغريبة. فكانت تغامر بالاقتراب من الشاطيء اكثر مما فعلت اخواتها. لا، بل انها كانت تمضي الى الجدول الضيق الذي يجري تحت الشرفة المرمرية الانيقة، وتجلس وتتأمل الامير الشاب، الذي يحسب نفسه وحيدا في ضوء القمر ابهى.

وكم من امسية رأته في زورقه الجميل الذي تزينه الاعلام يستمتع بالموسيقى فترهف السمع من بين البردي الاخضر. واذا ما داعبت الريح خمارها الابيض، الفضي، الطويل، خيل لمن رآه انه بجعة تنشر جناحيها.

وما اكثر الليالي التي سمعت فيها الصيادين يثنون على الامير، وهم يلقون شباكهم على ضوء المشاعل. فتبتهج لانها انقذت حياته وقد تقاذفه الموج بين الحياة والموت.

وسرعان ما ازداد تعلقها ببني الانسان وامضها الشوق الى التمشي بينهم، فقد بدا لها ان عالمهم اوسع واجمل من عالمها. فبوسعهم ان ينطلقوا عبر البحر في سفنهم ويتسلقوا الجبال الشم التي تطاول الغيوم، وان ارضهم - حقولهم وغاباتهم - تمتد الى ما لا تبلغه الابصار.

وكان لديها شيء كثير تروم ان تحيط به علما، غير ان اخواتها لم يجدن جوابا لاسئلتها كلها. فالتمست جدتها العجوز المطلعة على احوال العالم العلوي الذي تدعوه: دنيا ما فوق البحار..

سألت الحورية الصغيرة جدتها: ان لم يغرق ابناء البشر، أفهم خالدون ابداً؟ الا يموتون كما نموت نحن هنا في البحر؟

فاجابت السيدة الجليلة: اجل، يجب ان يموتوا كما نموت نحن. ولكن آجالهم اقرب من آجالنا. فنحن قد نعمر ثلاث مئة سنة. واذا انقطعنا عن الوجود، فلا نصبح الا زبدا، ولاندفن بين احبائنا. وارواحنا ليست خالدة. ولانبعث الى حياة اخرى. فنحن كالقصب الاخضر الذي لايعود الى الازدهار بعد ان يقطع. اما الانسان، فعلى نقيض ذلك، له روح خالدة تعيش ابدا - اجل، حتى بعد فناء الجسد - وتصعد خلال الهواء الصافي الرائق، الى النجوم الباهرة في الاعالي! وكما نخرج من الماء لنلقي نظرة الى مساكن الناس، فانهم يصعدون

الى مثوى مجهول، اثير لديهم، لايقدر لنا ان نشاهده.

فسألت الحورية الصغيرة في حزن: ولم لاتكون لنا ارواح خالدة؟ واني ليسرني انا اهب المئات من السنين التي قد احياها، لكي اكون واحدة من البشر يوما واحدا فقط، واملا في المشاركة في مباهج العالم السماوي.

فقالت السيدة الجليلة: يجب الاتفكري في هذا. لاننا اسعد وافضل من البشر الذي فوقنا.

فقالت الحورية الصغيرة: اذن سأموت واصبح زبداً يطفو على ماء البحر، وأكف عن سماع موسيقى الموج ورؤية الزهور الجميلة والشمس المتوهجة؟ اليس من عمل انال روحا خالدة؟

فقالت ملكة البحار: لا، الا اذا احبك انسان حبا جماً، فغدوت لديه اغلى من امه وابيه، وصرت محور افكاره وحبه، وسمحت لرجل الدين ان يضع يده اليمنى في يدك ويعاهد ان يكون وفيا من الآن فصاعدا. عند ذلك ستنساب روحه في بدنك، وستنال شيئا من السعادة التي تنتظر بني البشر. وسيهبك روحا دون ان يفقد روحه. ولكن ذلك لن يكون! فذيل السمكة في جسمك الذي يعد جمالا بيننا نحن اهل البحر، يعتبر عيبا لدى اهل الارض، لانهم لايقدرون ذلك - فهم يفضلون عليه دعامتين قويتين تدعيان لديهم ساقين لتكونا من امارات الجمال.

فتنهدت الحورية الصغيرة وهي تلقي نظرة الى ذيل السمكة.

فقالت السيدة الجليلة: لنمرح ونقفز ونثب في غضون الثلاث مئة سنة التي نعيشها، وهي كافية حقا، بكل تأكيد. وسيكون مصيرنا بعد ذلك الى راحة وهدوء. وهانحن لدينا الليلة حفلة راقصة في البلاط.

وتعرض في مثل هذه المناسبات معالم الابهة التي لانظير لها في الارض. فقد كانت جدران المرقص الكبير من الزجاج الشفاف

السميك. وقد علقت في صفوف في كل جانب مئات من الاصداف الجبارة ـ بعضها احمر غامق، واخرى خضر كالعشب ـ فيها شعلة زرقاء تنير البهو جميعا، وتشرق خلال الجدران، فيشع البحر حولها بالانوار. وترى اسماك لاتحصى، صغيرة وكبيرة، تسبح لدى جدران الزجاج، وهي تزدهي بحراشف قرمزية ومنها ما يتالق مثل ماء الفضة او الذهب.

ويجري في المرقص جدول عريض، . يرقص على وجهه حور وغلمان يترنحون باعذب الالحان، لاتبلغ عذوبتها اجمل اصوات بني الانسان. وطفقت الحورية الصغيرة تشدو اعذبهم قاطبة فصفق لها كل من في البلاط بايديهم وذيولهم. فاغتبطت بذلك اذ علمت انها تتمتع باجمل صوت على الارض او البحر، غير ان افكارها سرعان ما تحولت الى العالم العلوي فلم يكن بوسعها نسيان الامير الوسيم او حزنها انها لاتملك روحا خالده كروحه. لذا انسلت من قصر ابيها حيث المهرجان والقصف والغناء، فجلست محزونة في حديقتها الخاصة الصغيرة حيث سمعت بوقا يصدح خلال الماء.

ففكرت في نفسها: لاريب ان الذي ملأ عليَّ افكاري يبحر فوقنا، واني سوف اودع بين يديه، مسرورة، سعادتي في الحياة وسوف اغامر بكل شيء من اجل الفوز به، والحصول على روح خالدة. وفي الوقت الذي ترقص اخواتي قي قصر أبي، فاني سامضي الى ساحرة البحر التي كثيرا ماارعبتني ولعلها الآن تستطيع ان تقدم لي النصح والعون.

ثم بارحت الحديقة واتجهت الى سورة الماء المدومة حيث تعيش الساحرة خلفها. ولم تكن قد ذهبت الى هناك قبلاً. فلا زهور فيه ولاعشب، لاشيء سوى الارض الرملية الغبراء، الجراداء التي تؤدي الى السورة حيث تدور المياه كدواليب الطواحين، وتسحب كل

مايتعلق بهـا الى الاعمـاق التي لاتسبر اغوارها. واضطرت الحورية ان تمـر بين هذه السـورات، التي قد تحطمهـا في قبضتهـا الجبارة، لكي تصـل ارض ساحـرة البحار. واذا قطعت شطرا من ذلك الطريق فعليها ان تجتـاز حمأة دافئـة تتصـاعـد منها الفقاعات اسمتها الساحرة المرج المشـاع. ووراء ذلـك يقـع بيتها في وسط غابة غريبة. وكانت اشجارها وشجيـراتهـا حيـوانـات ـ نصفهـا حيـوانات ونصفها الاخر نبات ـ كأنها ثعـابين نابتـة في الارض ولكـل منهـا مئة رأس، واغصانها اذرع طويلة لزجـة فيهـا اصـابـع كالـدود اللدن، تتحـرك مفاصلها من الجذر حتى القمـة. واذا قطفت شيئـا من البحـر، ضيقت القبض عليـه ولن تخلي سبيله مطلقـا. ارتـاعت الحـوريـة الصغيـرة لمـرآها، وقلبها يخفق من الرعب. وكان بودها لو تعود، غير انها فكرت بالامير وبالروح التي لدى الانسـان فبث ذلـك في نفسهـا الشجـاعـة. فضفـرت شعـرها الطويل المنسـدل وعقـدتـه لئـلا تقبض عليـه هذه المخلوقات، وضمت يديها على صدرها ومرقت من بينها كما تنطلق السمكة في الماء، وقد مدت اذرعها واصابعها اللدنة خلفها ـ وقد لحظت كيف يتشبث كل منها بما قبض عليـه بمئـات من الاذرع الصغيـرة كأنها مشابك قوية من حديد. ومن مات من بني الانسان في البحر وغرقوا في الاعماق، لم يبق منهم سوى الهيـاكـل العظمية البيض بين اذرع تلك المخلوقات التي كانت تمسـك ايضـا دفـات سفن وصنـاديق وهياكل حيوانات ارضـية، وحتى حوريـة بحـر صغيـرة امسكت بهـا وخنقتها، ولعل ذلك بدا لها اكثرها اثارة للذعر. ثم بلغت مستنقعا كبيرا في الغابة، فرأت ثعابين ماء سمينة تتمـرغ في الحمأة وتكشف عن ابـدان شاحبـة قبيحـة. وفي وسط هذا المكان الكريه اقيم بيت بني من عظام البشر الذين تحطمت سفنهم، وجلست فيه ساحرة البحار تطعم ضفدعا بفمها كما يفعل كثير من بني

البشـر عنـدمـا يطعمـون قطعة من سكر لطير صغير من طيور الكناري .

وكانت تدعو افاعي الماء السمينة الكريهة فراخها وتدعها تزحف على صدرها .

فقـالت ساحـرة البحـار: اعـرف ماذا تريـدين! وانهـا لحمـاقة منك ولكنـك ستمـرين وستتعـرضين الى محنـة، ياأميـرتي الحسناء . فانت تودين التخلص من ذيـل السمكـة واستبداله بقائمتين مما لدى الانسان يمشي بهما في الارض، لكي يحبك الامير ولكي تفوزي به وبروح خالدة :

وضحكت السـاحـرة ضحكـا مجلجلا سقط الضفدع والافاعي من هوله على الارض وهي تتلوى .

واضـافت الى ذلـك قولهـا! لقـد اتيت في الـوقت المناسب، فانك لوجئت غدا عند غروب الشمس فلن يكون بوسعي مساعدتك حتى تمر سنة اخرى . ساحضر لك جرعة من دواء، ستأخذينه معك سابحة الى الشـاطيء غدا قبـل غروب الشمس . فاجلسي واشـربيه، ستجدين ان ذيلك قد ذوي واختفى وصـار في مكـانـه مايـدعى لدى البشر ساقين، ولكن عليـك ان تتنبهي الى ان ذلـك اليم فكأنـك طعنت بخنجر حاد . ومن يراك يقل انك اجمل الفانين . ولكنك ستحتفظين بمشيتك الانيقة الطليقـة ومن تدانيـك في رشـاقـة حركـاتـك راقصة، بيد ان كل خطوة تخطين ستكون كالوطء على سكاكين حادة ، فتخالين ان دمائك تسيل لها . فاذا ماصبرت على احتمال الاذى، فاني ساكون في عونك .

فقالت الحورية الصغيرة في صوت متهدج «اجل اني ساصبر» وهي تفكر بالامير والروح الخالدة .

فقالت الساحرة : ولكن تذكري جيدا، انك ان اتخذت هيئة انسان مرة، فلن تعـودي حوريـة بحـر ابدا! ولن يكون بوسعك ان تغوصي في

الماء الى اخواتك اوترجعي الى قصر ابيك . واذا ماخاب سعيك في الفوز بحب الامير بحيث ينسى امه واباه من اجلك انت ، ويحبك بكل روحه ، ويطلب الزواج منك ، فانك عند ذاك لن تفوزي بالروح الخالدة! وسينفطر قلبك في اليوم الذي يتزوج من غيرك وستغدين زبدا على الامواج منثورا .

فقالت حورية البحر الصغيرة وقد شحبت شحوب الموتى : اني عقدت العزم على ذلك .

فقالت الساحرة : ولكن عليك ان تؤدي لي حقوقي . واني لااطلب امرا هيناً . فانك تتمتعين باعذب صوت بين اهل الاعماق قاطبة ، وانت تعتمدين على انغامه فتفتنين به الامير من اجل حبك . فعليك الآن ان تعطيني صوتك الجميل هذا . وقد اخترت افضل مالديك بدلا من دوائي الناجح ، لاني يجب ان امزج به دمي لكي اجعله ماضيا مثل سيف ذي حدين .

فقالت الحورية الصغيرة : ولكن ماذا سيبقى لي اذا ما اخذت مني صوتي ؟

فاجابتها الساحرة : قوامك الجميل ، ومشيتك الرقيقة ، وعيناك المعبرتان ـ بذلك كله يمكنك ان تخلبي لب اي انسان . حسن؟ ازايلتك الشجاعة؟ هيا اخرجي لسانك الصغير لاقطعه أجرة لي وستأخذين الدواء الناجع .

فقالت الحورية الصغيرة : فليكن ماتريدين .

ووضعت الساحرة القدر على النار لتحضر الدواء . وقالت : النظافة فضيلة! وهي تجلو القدر بالافاعي التي لفتها في عقدة ، ثم وخزت صدرها بنفسها وجعلت دمها الاسود يسيل في الوعاء . وارتفع البخار باشكال غريبة ، لايستطيع انسان ان ينظر اليها دون ان يقشعر بدنه

وواصلت الساحرة القاء مواد جديدة في القدر في كل لحظة وعندما بدأت تجيش، تعالى صوت كأنه عويل التماسيح . واخيرا انتهى اعداد الدواء الذي بدا كأصفى مياه الينابيع .

فقالت الساحرة: هاهو ذا الدواء!» وهي تقص لسان الحورية الصغيرة التي صارت خرساء لايسعها الكلام او الغناء .
ثم قالت لها الساحرة: اذا ماطوقتك ذوات الاذرع في طريق عودتك خلال غابتي ، رشي عليها قطرة من هذا الدواء، وسوف تتناثر اذرعها واصابعها الف شظية .
غير ان الحورية الصغيرة لم تكن بحاجة الى هذا الطلسم . لان ذوات الاذرع تراجعت مذعورة ما ان لمحت لديها الدواء الباهر الذي يحير الابصار وهو في يديها كأنه غيمة متلألئة . فاجتازت الغابة والمستنقع والسورة على عجل .
ونظرت الى قصر ابيها فالفت المشاعل في المرقص الكبير قد اطفئت وادركت ان العائلة باسرها قد خلدت الى النوم وماكانت تجرؤ على المغامرة بالدخول ومقابلتهم فقد كانت خرساء وانها على وشك مفارقتهم الى الابد . وكاد فؤادها ينفطر من الكرب العظيم . فانسلت الى الحديقة، وقطعت زهرة من ازهار اخواتها وقبلت يدها الف مرة والقتها الى القصر ثم ارتفعت خلال المياه الزرق .
ولم تكن الشمس قد اشرقت بعد عندما رأت قصر الامير وبلغت درجاته المرمرية العظيمة . وكان القمر يرسل ضوءه وضاء . فشربت الحورية الصغيرة الدواء الحاد المحرق، وشعرت كأن سيفا ذا حدين يخترق كيانها الرقيق. فاغمى عليها، ولما اشرقت الشمس على البحر، استيقظت ، فشعرت بالم حاد، لكن الامير الشاب الوسيم كان واقفا بين يديها، وهو يحدق فيها بعينيه السوداوين متأملا فاطرقت،

وادركت ان ذيلها قد اختفى وصار لها ابدع ساقين بيضاوين تتمناهما اية فتاة، ولما لم تكن عليها ملابس فقد اضطرت ان تستر نفسها بشعرها الطويل الكثيف. فاستعلم الامير من تكون وكيف جاءت الى هناك، ولم يكن بوسعها سوى ان تنظر اليه بعينيها الوديعتين الزرقاوين الحزينتين. لانها لاتستيطع الكلام. فاخذ بيدها واقتادها الى القصر. وكانت كل خطوة تخطوها، كما قالت لها الساحرة، كأنها تطأ رؤوس ابر وسكاكين حادة بيد انها تحملت ذلك راضية، ودلفت خفيفة الخطى، فدهش الامير وكل الآخرين لمشيتها الانيقة اللطيفة. فالبسوها ثيابا نفيسة من حرير وقطن موصلي، فغدت اجمل اهل القصر، بيد انها كانت بكماء، لاتستطيع الكلام او الغناء. وحضرت بعض الجواري في حرير موشى بالذهب وغنين بين يدي الامير ووالديه العاهلين. وفاقت احداهن الاخريات بعذب غنائها فصفق لها الامير وابتسم. فاحزن ذلك حورية البحر الصغيرة. فقد كانت تعلم انها كانت تجيد الغناء خيرا منها وفكرت في نفسها: اواه! ايعلم اني من اجل القرب اليه ضحيت بصوتي ولكي افوز بالخلود؟

وادت الاماء رقصات رشيقة خفيفة على انغام اروع الموسيقى.

فرفعت حورية البحر الصغيرة ذراعيها الجميلتين البيضاوين ووقفت على اطراف اصابعها وهامت فوق الارض راقصة بشكل لم يسبق لغيرها اداءه، وقد كشفت كل حركة من حركاتها شيئا من الجمال المذهل، وقد فتنت عيناها القلوب اكثر مما استطاع غناء الجواري. فسبت افئدة الحاضرين طرا، وبخاصة الامير الذي دعاها صغيرته. وواصلت الرقص، على الرغم من الالم الذي تحس كانها تطأ سكاكين حادة كلما مست قدمها الارض. واعلن الامير انه لن يفارقها ابدا وسمح لها ان ترقد على فراش مخملي في حجرة ازاء بابه.

والبسها كالرجال لكي تصحبه على صهوة جواده. فاخترقا معا الغابات الفواحة بالعطر. حيث الغصون الخضر تمس اكتافها وتغرد الطيور الصغيرة بين الاوراق الغضة. وارتقت الجبال مع الامير، وبالرغم ان قدميها الرقيقتين قد دميتا ولاحظ الآخرون ذلك، الا انه لم يبدر منها سوى الابتسام لما عانت من آلام، وتبعته حتى كان بوسعهما رؤية الغيوم تجري تحتهما مثل سرب من الطيور الغادية نحو بلد بعيد.

وفي الليل، عندما كان الآخرون يخلدون الى النوم في قصر الامير، كانت تخرج وتجلس على درجات السلم العريضة فقد كان ذلك يبعث النشوة في نفسها بعد ان تبترد بماء البحر قدماها الملتهبتان، ثم تروح تفكر بمن في الاعماق.

وارتفعت اخواتها ذات ليلة متشابكات الاذرع وهن يغنين غناء حزينا وقد بلغن وجه الماء! فاشارت لهن وعرفنها وانبأنها بالحزن العميق الذي اصابهن من جرائها. ثم صرن يزرنها كل ليلة، فلمحت ذات مرة على بعد عظيم جدتها الهرمة، التي لم تخرج الى سطح البحر منذ سنين كثيرة، وكذلك ابصرت اباها ملك البحار والتاج على رأسه. وبسطا لها ايديهما، ولكنهما لم يجازفا بالاقتراب من الشاطيء كما فعلت اخواتها.

وصار كل يوم يزداد هيامها بالامير، ولكنه كان يحبها كما يحب امرؤ طفلا عزيزا، طيبا ولم تخطر قط بباله فكرة اختيارها ملكة. ومالم يتخذها زوجة فانها لن تنال روحا خالدة، بل تغدو زبدا في صباح اليوم التالي لزواجه من غيرها.

يبدو ان عيني حورية البحر تسألان وهو يطوقها ويقبل جبينها الوضاء: الاتحبني خيرا منهن جميعا؟

فيجيب الامير: اجل، اني احبك، خيرا منهن. فقلبك اطيب

منهن جميعا. وانت الاثيرة لدي، فانك تشبهين غادة، رأيتها ذات مرة قد لاالتقيها مرة اخرى، كنت على متن سفينة غرقت. والقت بي الامواج قرب معبد مقدس فانتشلتني صغرى فتياته التي وجدتني على الشاطيء. وقد لمحتها مرتين. ولن احب سواها في هذه الدنيا. وان قسماتك تشبه قسماتها. وقد حللت محل صورتها في روحي. وهي تنتمي الى المعبد المقدس. وقد ارسلتك المقادير الي ولن نفترق ابدا.

ففكرت في نفسها. واحسرتاه! انه لايعلم اني انا التي انقذت حياته! فقد حملته فوق مياه البحر الى الغابة حيث المعبد المقدس! وتواريت بالزبد لارى ان كان احد من بني البشر يأتي لنجدته. فابصرت بالفتاة الحسناء التي يحبها اكثر مني - ثم تنهدت الحورية تنهدة عميقة ولكنها لم تذرف دمعة واحدة - يقول ان الفتاة تنتمي الى المعبد المقدس، وانها لن تعود الى هذه الدنيا ابدا. ولن يلتقيا، في الوقت الذي اكون بجانبه واراه كل يوم. وسوف ارعاه، وامنحه حبي، واضحي بحياتي من اجله.

وقيل ان الامير سيتزوج من ابنة ملك مجاور جميلة، ومن اجل ذلك اخرج مثل هذه السفينة الرائعة. وكان الامير قد اعد نفسه في الظاهر للسفر من اجل زيارة املاك جاره، غير انه في الحقيقة كان يريد رؤية ابنة الملك. وسوف تصحبه حاشية كثيرة فهزت حورية البحر الصغيرة رأسها وابتسمت. وقد كانت اعلم بافكار الامير من اي شخص غيرها. فقد قال لها: لابد ان اسافر، ويجب ان ارى الاميرة الجميلة فقد طلب والداي مني ذلك. بيد انهما لن يجبراني على العودة بها عروساً لي. فاني لااستطيع محبتها، لانها لاتشبه غادة المعبد الجميلة التي تشبهينها. واذا ما اضطررت الى اختيار عروس، فسرعان ماستكونين

انت، يالقيتي البكماء ، ياذات العينين المعبرتين، .

ثم قبل فمها الوردي وداعب شعرها الطويل، واراح راسه على صدرها الذي خفق فيه فؤادها املا في سعادة بشرية وروح خالدة.

ثم قال: «انت لاتخشين البحر ياطفلتي الخرساء، أليس كذلك؟» وهما واقفان على متن السفينة الفخمة التي ستنقلهما الى بلاد الملك المجاور. وحدثها عن عواصف البحر وهدوئه وعن الاسماك الغريبة في اعماقه والاشياء العجيبة التي يراها الغواصون هناك، فتبتسم لانها ادرى من غيرها بما في باطن البحر.

وفي الليلة القمراء عندما كان جميع من في السفينة حتى مدير الدفة قد رقدوا، جلست على ظهر السفينة وحدقت خلال المياه الرائقة فخيل اليها انها رأت قصر ابيها وقد وقفت جدتها في اعلاه بتاجها الفضي على رأسها، تنظر الى قاعدة السفينة نظرة ذات معنى. ثم صعدت اخواتها الى وجه الماء، ونظرن اليها نظرة كلها اسى وهن يفركن ايديهن من الحزن . واشارت لهن وابتسمت وودت لو تخبرهن انها تعيش في سعادة ورفاه، ولكن صبي المقصورة اقبل فغاصت الاخوات تحت الموج، وقد حسب ان الاشكال البيض التي ابصرها لم تكن سوى زبد فوق المياه.

وفي صباح اليوم التالي دخلت السفينة ميناء عاصمة الملك المجاور الرائعة. ودقت الاجراس وصدحت الابواق في الابراج العالية، ووقف الجنود يحملون الرايات الخفاقة والحراب اللامعة استعدادا للترحيب بالقادم الغريب. واقيمت في كل يوم حفلة تسلية جديدة! رقص ومآدب يتلو بعضها بعضاً. ولكن الاميرة لم تكن قد حضرت، لانها ترعرت ، كما يقال، في معبد مقدس بعيد، حيث تلقت كل اصول الفضائل الملكية، واخيرا وصلت الاميرة.

وكـانت حورية البحر الصغيرة متلهفة الى رؤية الاميرة والحكم على جمالها، فاضطرت في قرارة نفسها ان تعترف انها لم تر قط وجها اجمل من وجههـا. فقـد كانت بشـرتها رقيقة شفافة، وتلتمع عيناها الزرقاوان الصافيتان تحت اهداب سود طويلة.

فهتف الاميـر: اهـذه انت! انت التي انقـذتني بعد ان كنت كالجثة الخـامـدة على الشـاطيء! وطوق عروسه، المتوردة حياء، بذراعيه ثم قال يخـاطب الحـوريـة الصغيـرة: آه، ماسعـدني! لقـد تحقق اعـز احـلامي. وستفـرحين لسعـادتي لانـك تتمنين لي الخيـر اكثر من اي واحـدة ثم قبلت حوريـة البحـر الصغيـرة يده، وشعـرت بغتة كأن قلبها يكـاد ينفطـر لان صباح يوم زواجه سيجلب لها الموت. وسوف تتحول الى زبـد فوق البحر ورنت الاجراس وركب المنادون خيولهم منطلقين في الشـوارع يذيعـون بشـرى العـرس قريبـا. واشعـل زيت معطر في مصـابيـح من فضـة في كل منتـدى. وطـوح بعض الرجال مباخرهم. وتشـابكت يدا العـريس والعـروس وتلقيـا دعاء مباركا من رجل الدين. وحملت الحـوريـة الصغيرة، وهي في ثياب من حرير موشى بالذهب، ذيل ثوب العروس. بيدان اذنيها لم تسمعا الموسيقى الجليلة، ولم تر عيناها الاحتفال. فقد كانت مشغولة الفكر بشبح الموت القادم وكل ما ستفقده في هذه الدنيا.

وصعـدت العـروس والعـريس في ذلـك المساء نفسه متن سفينة. ودوت المـدافـع، وخفقت الـرايـات. ونصبت خيمـة نفيسة من نسيج الارجـوان الممـوه بالـذهب على ظهر السفينة وصفت فيها مقاعد وثيرة لاستقبال العروسيين.

وسـرت السفينـة بريـح مواتيـة وانسـابت برفق فوق البحر الهادىء. وعندما هبط الظلام، اضيئت مصابيح ملونة، ورقص البحارة على ظهر

السفينـة رقصـا مرحـا . لم يكن للحـوريـة الصغيرة بد من تذكر زيارتها الاولى للارض عنـدمـا شهـدت احتفالات وافراحا مماثلة . ودارت مع الراقصين كأنها تكاد تطير كالسنونو . فهتف لها الحاضرون في ابتهاج غامـر، لانهـا لم ترقص مثل هذا الرقص الساحر من قبل . وشعرت في قدميهـا الـرقيقتين وخـز السكـاكين الحادة، ولكنها لم تأبه لذلك، لان ألمـا امضـى حز في قلبهـا . وقـد ادركت انـه آخر مساء ترى من لاجله هجرت اقرباءها ووطنها وضحت بصوتها الجميل، وكابدت من الالام اشدها تبريحا دونما ان ينتبه الى حالها حتى ولو في الاحلام . انها آخر ليلة تشم فيهـا الهـواء الـذي يشمـه وتتأمـل البحر العميق والسماء التي تزينها النجوم تنتظرها ليلة ابدية لاتفعمها افكار ولا احلام، فهي لا روح لها ولاقدرة لها على نيل روح . وكان الجميع في مرح وحبور حتى جاوز الليل منتصفه كثيرا . وكان لابد لها ان تبتسم وترقص على الرغم من ان فكـرة المـوت تختلج في فؤادهـا . وقبل الامير عروسه الفاتنة . وداعبت هي خصـلات شعـره الاسـود، ثم مضى الاثنـان، يتأبط احدهما ذراع الآخر، الى الخيمة الرائعة ليخلدا الى شيء من الراحة .

وكـان كل شيء هادئـا على متن السفينـة . ولم يكن احـد مستيقظـا سوى مديـر الـدفـة عنـدمـا اتكأت حوريـة البحـر الصغيـرة بذراعيهـا البيضاوين على حافة السفينة وسرحت ببصرها نحو المشرق في انتظار بزوغ حمـرة الصبـاح . اذ انهـا تعلم ان اول شعاع من الشمس لابد ان يصيب منهـا مقتـلا . ثم رأت اخـواتهـا يخـرجن من الفيض الغامر وقد علاهن الشحوب مثلها . ولم تعد خصلات شعرهن مسترسلة تعبث بها الرياح فقد قصت .

وقلن لها : اعطيناها الى الساحرة لنكسب عونها لئلا تموتين الليلة . فاعطتنا مقابل ذلك مدية حادة كما ترين . وعليك ان تغمدينها في قلب

الامير قبل طلوع الشمس . وعندما يخضب دمه الحار قدميك سوف تلتصقان لتصبحا ذيل سمكة ، وستعودين حورية بحر تستطيعين الرجوع الينا ، وتعمرين ثلاث مئة عام قبل ان تتحولي زبدا مالحا لاحياة فيه . فعجلي اذن ، اذ لابد ان يموت احدكما قبل شروق الشمس ! وقد تساقط شعر جدتنا العجوز الاشيب من الحزن كما سقط شعرنا تحت مقص الساحرة . هيا عجلي ! الا ترين الى تلك الاشعة الحمراء في السماء؟ بعد دقائق معدودات ستشرق الشمس وعند شروقها ستموتين !

وتنهدت تنهدات عميقة وهن يهبطن تحت الامواج .

ورفعت حورية البحر الصغيرة ستارة الخيمة الارجوانية فابصرت العروس قد اراحت رأسها على صدر الامير ، فانحنت الحورية وقبلت جبين الامير الوضاء ، ثم رفعت بصرها نحو السماء حيث راح الفجر الوردي يزداد تألقا .

ثم حدقت في المدية الحادة ، وعادت ببصرها الى الامير الذي كان في نومه يردد اسم عروسه التي ملأت عليه افكاره ، فتشبثت اصابع الحورية بالسكين ـ غير انها طوحت بها بغتة في الموج الذي تأجج بالحمرة عند موضع سقوطها كأن قطرات الدم يتدفق سيلها من الماء . والقت الى الامير آخر نظرة محتضرة ، ثم وثبت الى البحر فوق جانب السفينة ، واحست بجسمها يتحلل الى زبد .

وبزغت الشمس من البحر ، والقت اشعتها دفئا لطيفا على الزبد البارد ، فلم تعد حورية البحر الصغيرة تعاني غصص الموت . ورأت الشمس المنيرة ، وفوقها تطوف مئات من المخلوقات الشفافة البديعة . ومازال بوسعها ان تلمح اشرعة السفينة البيض والسحب الحمر في السماء من بين حشود تلك الكائنات الرائعة ، التي كلامها الحان

عذبـة، اثيـرية لايسع الاذن البشرية سماعها، كما لايسع عينهم تمييز صورها، وهي تحوم في الهواء بلا اجنحة لخفتها. ورأت حورية البحر الصغيرة ان لها جسما كاجسامها، ظل يرتفع ويعلو من الزبد.

وسألت: اين انا؟ وتردد صوتها كاصوات زميلاتها في الارجاء اثيريا تعجز موسيقى الارض كلها ان تأتي بفكرة دقيقة عن عذوبته.

فاجبنها: انت بين بنات الجو! الحورية لاتملك روحا خالدة ولا ان تنـال واحـدة، مالم تفـز بحب واحـد من بني البشـر ـ فهنـاءتها الابدية تتـوقف على ارادة غيـرهـا، غيـر ان بنـات الجو يستطعن ان ينلن روحا خالدة باعمالهن الطيبة على الرغم من انهن لايمتلكنها بطبيعة الحال. نحن نطيـر الى بلاد دافئـة. فننفـخ في جوهـا الـلافح المحمل بالوباء الذي يهلك بني الانسان. وننشر عطر الزهور في الهواء انعاشا وشفاء لهم.

واذا ما جاهـدنـا ثلاث مئة سنة ان نعمل ما في وسعنا من خير، فاننا عنـدئـذ نفـوز بروح خالـدة! ونشـارك بني الانسان سعادتهم الابدية، وانت ايتهـا الحـوريـة الصغيـرة قد جاهدت بقلبك كما فعلنا. فعانيت وتحملت فارتفعت بنفســك الى روح لطيف، وقــد خولتــك طيبـات اعمالك ان تنالي روحا خالدة بعد انقضاء ثلاث مئة سنة.

وشخصت حوريـة البحر الصغيرة بعينيها المشرقتين الى الشمس، وشعـرت اول مرة ان عينيهـا تتـرقـرقـان بالـدمـوع. فافاق كل من على السفينـة، واستطـاعات ان تبصر الامير وعروسه الجميلة يبحثان عنها، ثم ينظـران آسفين الى الـزبـد اللؤلؤي، كأنهما يدركـان انهـا قد القت نفسها في امواج اليم. ثم قبلت جبين العروس وروحت للامير دون ان يريـا من امـرهـا شيئـا، ثم رقت، مع بنـات الهواء الاخريات، اسباب سحابة وردية تشق اجواء الفضاء.

وقالت : وهكذا سنظل ننساب في ملكوت السماء بعد انقضاء ثلاث مئة عام .

فهمست احـدى بنـات الهـواء : لعلنـا نصلها قبل هذا ، فاننا ندخل مسـاكن النـاس في خفاء ، وكل يوم نرى فيه طفلا طيبا ، بهجة والديه ، ويستحق حبهمـا ، قصـر الله أمد محنتنا . ولايشعر طفل بنا ونحن نحوم في حجـرتـه ، فنبتسم مسرورين فتحسم سنة واحدة من سنواتنا الثلاث مئة المقدرة لعيشنا . ولكن عندما نرى طفلا سيء السلوك أو غير مطيع ، ذرفنا دموع الآسئ ، فتضيف كل دمعة يوما الى امد ا ختبارنا . ,

كلاوز الكبير وكلاوز الصغير



عاش في قديم الزمان في قرية من القرى رجلان باسم واحد يطلق عليهما كلاوز، ولكن احدهما كان يمتلك اربعة جياد اما الآخر فلم يمتلك الا واحداً. ولكي يميز الناس بينهما اطلقوا على مالك الخيول الاربعة اسم «كلاوز الكبير» وعلى صاحب الحصان الواحد اسم (كلاوز الصغير) وساروي لكم ماحدث لهما، فهي قصة حقيقية.

لقد كان كلاوز الصغير يساعد كلاوز الكبير في حراثة ارضه طوال الاسبوع ويعيره حصانه الوحيد، ولكن كلاوز الكبير كان يعيره خيوله

الاربعـة مرة واحـدة في الاسبـوع ـ يوم الاحـد فقـط . فمـا اشد ابتهاج كلاوز الصغيـر وفخـره كل يوم وهـو يضـرب بسـوطه الخيول الخمسة، فكأنهـا كانت ملكـه في ذلـك اليـوم واشـرقت الشمس ودقت اجـراس الكنيسـة مرحـاً، وتقـاطـر الناس في احسن ثيابهم وكتب الصلاة تحت آبــاطهم، ذاهبين لسمـاع موعظـة القس. فنظـروا الى كلاوز الصغيـر يحرث بخيوله الخمسة، وكان يبتهج كثيراً فيضرب بسوطه ويقول: هيا ياخيـولي الخمسـة فيقـول له كلاوز الكبيـر: يجب الا تقـول ذلك لان واحداً منها فقط هو لك.

ولكن كلاوز الصغيـر سرعـان مانسى مايجب عليـه قولـه وعندما يمر به احد يسمعه يرفع صوته بالنداء: هيا ياخيولي الخمسة.

فيقول كلاوز الكبير: ارجوك رجاء حقيقياً الا تقول ذلك مرة اخرى. واذا مافعلت فاني ساضـرب حصـانـك على راسـه فارديـه ميتـا في مكانه. وستكون تلك نهايته.

فقال صاحبه! اعاهدك الا اقول ذلك مرة اخرى.

ولكن ما ان يمـر احـد به ويـومي ء له ويسلم عليـه: طاب نهـارك، فانه يمتلي ء غبطـة ويشعـر بالغـرور لامتـلاك خمسة خيول يحرث بها حقله فيعود يهتف عالياً: هيا ياخيولي الخمسة!

فقال كلاوز الكبير: ساستحث لك خيولك.

وتنـاول مطـرقة خشبية كبيرة الرأس واهوى بها على راس حصان كلاوز الصغير، فخر صريعاً.

فبكي كلاوز الصغيـر وقـال: آه، لااملك الآن حصـانـاً ولكنـه سلخ الحصـان الميت وعلق جلده في الـريح ليجف ثم وضع الجلد اليابس

في كيس وعلقه على كتفه ومضى الى المدينة المجاورة ليبيعه، غير ان الـدرب طويـل وعليـه ان يختـرق غابة مظلمة موحشة وهبت في الحال عاصفـة فضـلّ طريقـه، وكـان المساء قد اقبل قبل ان يكتشف سبيله، وكـانت المسـافـة ماتزال طويلة الى المدينة الاخرى وبعيدة الى مدينته ايضاً قبل حلول الظلام.

وكـان قرب الطـريق بيت ريفي. وقـد اغلقت مصـازيع نوافذه، غير ان الضـوء تسلل من الشقـوق ومن الاعلى. وقـال في نفســه: «لعلهم يسمحون لي بالمبيت هذه الليلة». وتوجه الى الباب وطرقه.

وفتحت زوجـة الفـلاح البـاب، غير انها طردته لما سمعت طلبه، اذ لم يكن زوجهـا في البيت ولايسعهـا ان تستقبـل اي غريب فقـال كلاوز الصغير في نفسه عندما اغلقت المرأة الباب بوجهه: فعليّ اذن ان انام هنـا في الخـارج وكـان قريباً من البيت ركام كبير من التبن، وبينه وبين البيت حظيـرة صغيـرة ذات سقف من القش، فقـال كلاوز الصغيـر لما رأى السقف: «سـانـام فوقـه، فهـو فراش وثيـر، ولكني ارجـو الا ينزل اللقلق وينقر ساقي». فقد بنى لقلق عشه على السطح وكان واقفاً عليه فتسلق كلاوز الصغيـر الى سطـح الحظيـرة. ولما تقلب في منامه ليجد وضعاً مناسباً يرتاح اليه، تبين ان مصاريع النوافذ الخشبية كانت قصيرة فلم تصـل الى الاعلى. واستطـاع ان يرى الحجـرة وفيهـا مائـدة كبيرة وضع عليها الشراب والشواء والسمك الشهي وجلس اليها زوجة الفلاح وسـادن الكنيسـة. ولم يكن معهما احد. وكانت تملأ له الكأس وتقدم له السمـك الـذي يبـدو انه طعامه المفضل وقال كلاوز الصغير: ليتني اتنـاول شيئاً منه «ثم مد عنقه نحو النافذة فرأى كعكة بديعة كبيرة. انها

حقاً مأدبة رائعة وسمع في تلك اللحظة شخصاً يأتي راكباً على حصان نحو البيت. انه الفلاح راجع الى البيت.

كان رجلاً طيباً سوى انه متحامل - فهو لايطيق رؤية سادن كنيسة. واذا اتفق ان رأى احدهم، فانه يستشيط غضباً. وبسبب هذا الحقد، كان على السادن ان يزور زوجة الفلاح اثناء غياب زوجها عن البيت، فتضع الزوجة الطيبة امامه خير ما لديها في البيت من طعام.

وعندما سمعا الفلاح اصابهما هلع شديد، وجعلت السادن يختبيء في صندوق كبير في الزاوية خشية من غضب الزوج ثم اسرعت المرأة باخفاء جميع الاطايب والشراب في الفرن، لئلا يسألها زوجها عن سبب اعداد كل هذا الطعام اذا مارآه فتحسر كلاوز الصغير قائلاً: واحسرتاه! عندما رأى الطعام يختفي.

وسأل الفلاح وهو ينظر نحو كلاوز الصغير: من هذا الذي في الاعلى؟ وماذا تفعل هناك؟ الافضل لك ان تأتي الى البيت فروى له كلاوز الصغير كيف ضل طريقه وسأل إن كان من الممكن المبيت لديهم في تلك الليلة.

فقال الفلاح: بلا ريب، ولكن قبل ذلك يجب تناول شيء من طعام واستقبلتها المرأة بلطف عظيم، ومدت المائدة وقدمت لها طاساً كبيراً من العصيدة. وقد كان الفلاح جائعاً فتناولها كلها بشهية ولكن كلاوز الصغير لم يسعه الا التفكير بالشواء اللذيذ والسمك والكعك الذي رآه يخفى في الفرن. وقد وضع الكيس الذي فيه الجلد تحت المنضدة عند قدميه، لانه كان في طريقه الى المدينة ليبيعه كما نتذكر ولم يتوقع العصيدة، فوطأ الكيس وجعل الجلد يصر صريراً عالياً فقال كلاوز

الصغير يخاطب كيسه: صه! ثم راح يطؤه مرة اخرى فصر صريراً اعلى من ذي قبل.

فسأل الفلاح: ماهذا الذي لديك في الكيس؟

فاجابه كلاوز الصغير: اوه، انه جني. وهويقول لاتأكلا العصيدة، لانه سحر الفرن فملأه باللحم المشوي والسمك والكعك فقال الفلاح: «ماذا تقول؟» واسرع بفتح الفرن فرأى الاطايب التي خبأتها المرأة، ولكن الزوج ظن ان الجني هو الذي جلبها من اجلهما.

اما المرأة فلم تواتها الجرأة ان تتفوه بشيء، ووضعت الطعام امامهما فتناولا وجبة شهية من سمك ولحم وكعك.

ثم داس كلاوز الصغير الجلد وجعله يصر مرة اخرى. فسأل الفلاح! وماذا يقول الآن؟

أجاب كلاوز الصغير: يقول انه وضع ثلاث قنانٍ من الشراب في الفرن من اجلنا.

فكان على المرأة ان تخرج الشراب ايضاً، فشرب الفلاح حتى استخفه المرح. وتمنى لو يمتلك جنياً لنفسه، مثل الذي لدى كلاوز الصغير في الكيس.

وسأل الفلاح: أيمكن ان يخرج الشيطان بسحره؟ فاني لااخاف ان اراه مادمت في مثل هذه الحالة من المرح. فقال كلاوز الصغير: «اجل، يستطيع الجني ان يفعل اي شيء نطلبه منه: اليس كذلك ايها الجني؟» وجه السؤال اليه وهو يطأ الكيس حتى جعله يصر اعلى من ذي قبل. «اسمعته يقول: نعم؟ ولكن الشيطان قبيح، فخير لك ألا تراه».

فرد الفـلاح قائـلا: لست خائفـاً ابـداً، مهمـا كان شكله فقـال كلاوز الصغير: حسناً سيظهر في شكل سادن.

فقـال الفـلاح: وا أسفـاه! هذا رديء! فلابد ان تعرف اني لااطيق رؤية سادن. ولكن مع ذلك، لايهم، فاني اعلم انه الشيطان وليس السادن حقاً، فلن اهتم كثيراً. وها انت ترى ان عزيمتي عالية! ولكن يجب الا يقرب كثيراً.

فقـال كلاوز الصغيـر وهـو يُطأ الكيس ويقـرب اذنـه منـه: سأطلب من الجني ذلك.

فسأله الفلاح: ماذا يقول؟

فاجـابـه: يقـول بوسعك ان تذهب وتفتح الصندوق الذي في الزاوية، وسترى الشيطان قابعاً في الظلام. ولكن امسك الغطاء بقوة لئلا يخرج.

فسألـه الفـلاح وهـو يتـوجه الى الصندوق الذي اخفت المرأة فيه سادناً حقيقياً، كان يرتعش من الخوف «الا تساعدني بمسك الغطاء؟» ورفع الفلاح الغطاء قليلاً ونظر في الداخل.

ثم صاح ووثب الى الخلف: ها اني اراه وهو يشبه سادن كنيستنا تماماً. انه منظر مرعب!

فرجـع الاثنـان الى الشـرب وجلسا حتى ساعة متأخرة من الليل ثم قال الفـلاح: يجب ان تبيعني هذا الجني. ولـك ان تطلب عنـه ماتشـاء! سوف اعطيـك ملء صفيحـة نقـوداً بدلـه. فقـال كلاوز الصغير: كلا، لااستطيع ان افعل ذلك. فانت تعلم مدى فائدة الجني بالنسبة اليّ.

قال الفـلاح وهـو يتـوسـل اليـه: ولكنني احب ان اشتـريه فوافق كلاوز

الصغير اخيراً وقال: حسناً، بما انك كنت كريماً جداً معي، فاني اتخلى عنه اليك بصفيحة من المال، ولكن يجب ان تكون مليئة حتى حافتها.

فقال الفلاح: اجل، اجل ساعطيك ذلك، ولكن عليك ان تأخذ ذلك الصندوق معك: فاني لااريده في بيتي ساعة اخرى. ولست ادري ان كان موجوداً فيه ام لا.

فاعطاه كلاوز الصغير الكيس الذي فيه الجلد اليابس، وتلقى من الفلاح صفيحة مليئة بالمال بدلاً منه. كان الكيل مليئاً حتى حافته. واعطاه الفلاح ايضاً عربة يد ينقل فيها المال والصندوق وودعه كلاوز الصغير وخرج بماله وبالصندوق الكبير الذي فيه السادن.

ووصل نهراً عريضاً عميقاً في الجهة الاخرى من الغابة. وكان التيار قوياً تستحيل السباحة ضده. وقد بني جسر كبير جديد عليه وعندما وصلا الى منتصفه، قال كلاوز بصوت عال لكي يسمعه السادن: وماذا افعل بهذا الصندوق العتيق؟ لعله مليء بحجارة الطريق - فهو ثقيل جداً. لقد انهكني دفع العربة، لذا سألقيه في النهر. واذا طفا حتى يبلغ بيتي، فهذا خير على خير، وان لم يفعل، فلن يهمني ابداً ثم رفع الصندوق قليلاً وهمّ بالقائد في النهر فصاح السادن: كلا، كلا! لاتفعل! اخرجني.

وقال كلاوز الصغير متظاهراً بالرعب: ماهذا؟ انه مايزال في داخله! فيجب اذن ان القيه في النهر.

وعاد السادن يصيح: كلا، كلا: ساعطيك صفيحة مليئه بالمال اذا ما اخرجتني.

فقـال كلاوز: «هـذه مسألـة اخـرى». وفتـح الصنـدوق وخرج السادن مسـرعـاً ودفـع الصندوق الفارغ الى الماء، ثم ذهبا الى البيت واعطى كلاوز الصغيـر صفيحـة مليئة بالنقود. وكان قد حصل على صفيحة من الفلاح، كما تعلمون، وهكذا صارت عربة اليد مليئة بالمال.

وقـال في نفسـه وهـو يصل البيت ويفرغ المال من العربة في كومة على الارض: ها اني قد حصلت على ثمن جيد جداً عن الحصان.

وسوف يشتاط كلاوز الكبير غضباً عندما، يعلم مدى ما بلغت من الثراء من حصـاني الـوحيـد، ولكني لن اقول له الحقيقة بشأن ذلك. فارسل صبيـاً الى كلاوز الكبيـر ليستعيـر منـه كيـلاً يكتال به المال ففكر كلاوز الكبير في نفسه: «لاي شيء يريد ذلك». ثم مسح قاعدة الكيل بشيء من الشحم لكي يلتصق به ولـو شيء قليـل ممـا يكتـاله وتم له ما اراد، فعندما اعيد الكيل، كانت ثلاث قطع من الفضة قد التصقت به.

فقـــال كلاوز الكبيـــر: ماهـــذا؟ وراح يعـدو الى كلاوز الصغيـر: بالله عليك، من اين حصلت على كل هذا المال؟

فاجابه كلاوز الصغير: من جلد حصاني الذي بعته في الليلة الماضية

فقال كلاوز الكبير: هذا ثمن ممتاز في الحقيقة.

ثم جرى الى بيته وتناول فأساً وضرب جياده الاربعة على رؤوسها وسلخ جلودها وذهب بالجلود الى المدينة.

وراح يصيح في المدينة جيئة وذهاباً: جلود! جلود! من يشتري جلوداً؟ واقبـل جميـع الاسكـافيين والـدباغين في المدينة راكضين يسألونه كم يطلب ثمناً لها.

فقال كلاوز الكبير: صفيحة مليئة بالنقود لكل واحد منها.

فقالوا: أمجنون انت؟ اتحسب اننا نملك المال بالصفائح؟.

وعاد ينادي: جلود! جلود! من يشتري جلوداً؟

وتنــاول الاسكـافيـون قوالبهم والـدبـاغـون مآزرهم الجلديـة وراحـوا يضربون كلاوز الكبير في شوارع المدينة وهم يسخرون منه صائحين: «جلود! جلود! نعم سنضـربـك بجلد غيـر مدبـوغ. هيـا اخـرجـوه من المـدينـة!» فهـرب كلاوز الكبير باسرع مايستطيع. ولم يقلق في حياته مثل ذلك الضرب المبرح.

وقال عندما وصل البيت: سيدفع كلاوز الصغير ثمن ذلك. سوف اقتله بسبب ما قلت.

كانت جدة كلاوز الصغيـر قد ماتت في بيتـه. وقـد كانت مزعجة قاسية عليـه، غيـر انـه شعر بالاسى عليها عندما ماتت. فاخذ جثتها ووضعها في فراشـه الـدافيء لعلهـا تعـود الى الحيـاة وقد نوى ان تبيت فيه تلك الليلة ويظل هو ساهراً في كرسي في زاوية الحجرة وربما نام كما سبق له ان نام من قبل.

وعندما كان جالساً في كرسيه في تلك الليلة، فتح الباب ودخل كلاوز الكبيـر يحمـل بلطـة. وكـان يعرف مكان سرير كلاوز فاتجه اليه مباشرة واهوى على الجدة الميتة بضربة على جبينها وهو يظن انها كلاوز الصغير.

وقـال: انظـر كيف تخـدعني مرة اخرى بعد هذا ثم عاد الى بيته. فقال كلاوز الصغيـر: يالـه من رجل شرير. اراد قتلي في سريري. يالحسن الصدف ان جدتي المسكينة كانت ميتة والا لقتلها.

فالبس جدتـه افضـل ثيـاب يوم الاحد، واستعار حصاناً من جاره وشده

الى عربـة . ووضـع جدتـه على المقعـد الخلفي لئـلا تقع عندما تسير العـربـة . ثم انطلق بها خلال الغابة . وعندما اشرقت الشمس ، كان قد وصـل خانـاً كبيـراً ، فاوقف كلاوز الصغيـر حصانه ودخل لينال شيئاً من طعـام . وكـان صاحب الخـان رجـلاً طيباً بالغ الثراء ، غير انه كان حاد المزاج ، كأنه خلق من فلفل وتبغ . فحيا كلاوز الصغير : صباح الخير : اراك في احسن ثيابك في هذا الصباح الباكر!

فقال كلاوز : اجل ، اني ذاهب الى المدينة مع جدتي وهي جالسة في العـربـة التي في الخارج . ولا استطيع ان ادعوها للدخول أفلا اخذت اليها كأساً من العسل المخمر؟ وعليك ان ترفع صوتك ، لان سمعها ثقيل .

فقال صاحب الخان : اجل سآخذه اليها .

وصب شراب العسل المخمر في قدح كبير ، واخذه الى العجوز الميتة في العربة .

وقـدمـه صاحب الخان قائلاً : هاكِ كأساً من شراب العسل ارسله اليك ابنـك» . ولكن المـرأة الميتـة كانت ساكنـة ولم تنطق بكلمـة . فصـاح صاحب الخـان باعلى مايستطيـع : الا تسمعين؟ هذا كأس من شراب العسل من ابنك!

وظل يكرر الصياح عالياً ، فغضب غضباً شديد لمالم يجد استجابة منها فرمى الكأس في وجهها . وسال الشراب عليها فوقعت من العربة . فقد كانت متكئة وليست مربوطة فصاح كلاوز الصغير وهو يخرج راكضاً من الخان وامسك بخناق صاحب الخان قائلا : ها انت قتلت جدتي ! انظر اليها! لقد شججت جبينها عميقاً .

فقـال صاحب الفنـدق متحسراً وهو يشبك يديه : ياللكارثة ! هذه نتيجة مزاجي الحـاد : ساعطيك ياكلاوز الطيب . صفيحة مليئة بالنقود وادفن جدتـك كأنها جدتي ، اذا ماكتمت ذلك ، والا سيقطعون رأسي ، وهذا امر رهيب .

فاعطى كلاوز صفيحة كاملة من المال ، ودفن جدته كأنها جدته .

وعنـدمـا عاد كلاوز الى بيته بكل نقوده ، اسرع فارسل صبيه الى كلاوز الكبير يستعير منه مكياله .

فسأله كلاوز الكبير: ماذا؟ ألم يمت؟ لابد ان اذهب لاتبين الامر بنفسي .

فاخذ المكيال الى كلاوز الصغير بنفسه .

وسأله وقد اتسعت عيناه دهشة مما رأى : اقول : من اين لك كل هذه الاموال .

فاجـابـه كلاوز الصغيـر : انـه من جدتي التي قتلتهـا بدلاً مني . بعتهـا وحصلت على صفيحة من المال بدلها .

فقال كلاوز الكبير: انه ثمن ممتاز حقاً !

واسرع الى بيته وتناول بلطة وقتل بها جدته . ثم وضعها في عربة وخرج بها الى المدينة حيث يسكن الصيدلي وطلب اليه ان يشتري جثة ميتة .

فسأله الصيدلي : من هذا ومن اين اتيت بالجثة؟

فاجابه كلاوز الكبير: انها جدتي . انا الذي قتلتها من اجل صفيحة من مال .

فقال الصيدلي : وقانا الله ! انت تتحدث كالمجنون . ارجوك الا تتكلم بمثل هذه الاشياء ! فلعلك تفقد راسك .

وبين له مقدار ما اقترف من اثم فظيع ومدى الشر العظيم الـذي تملك نفسـه، وانه يستحق العقاب على اقترف. فارتعب كلاوز الكبير وخرج راكضاً من الصيدلية ووثب في العربة وساط حصانه مسرعاً الى بيتـه. وظن الصيـدلي وكل الآخرين انه رجل مجنون فلم يقفوا في سبيله بل تركوه يولي.

وقال كلاوز الكبير عند وصل الطريق العام: ستدفع ثمن ذلك! ستدفع ثمن ذلك ياكلاوز الصغير.

ومـا ان وصـل البيت حتى تنـاول اكبـر كيس وجده وخرج به يسعى الى كلاوز الصغير وهو يقول: «لقد خدعتني مرة اخرى. فقتلت جيادي اولاً ثم جدتي بعـد ذلـك. وكـل هذا بسببك، ولكنك لن تنال فرصة اخرى لتخـدعني!» ثم تنـاول كلاوز الصغيـر من وسطـه ووضعـه في الكيس والقاه على ظهره وصاح به: سوف اغرقك! هذه المرة!

كان الـدرب طويـلا الى النهر، ولم يكن كلاوز الصغير خفيف الحمل. وكـان الطـريق يمر بالكنيسة حيث كان الارغن يصدح والناس ينشدون نشيداً عذباً، فانزل كلاوز الكبير الكيس الذي فيه كلاوز الصغير بقرب باب الكنيسة. واراد ان يدخل ليسمع شيئاً من الترتيل قبل أن يعاود المسير.

ولم يستطع كلاوز ان يخرج من الكيس. وكان الناس في الكنيسة فتأوه كلاوز الصغيـر وهـو في الكيس قائـلا: «واحسـرتاه! وا ويلتاه!» وتقلب وتلوى ولكن من العسيـر عليـه ان يفك الحبل. واقبل في تلك اللحظة راعي ماشيـة اشيب الشعـر يحمل عصا طويلة بيده وسيوف قطيعا كبيرا من الابقار والثيران امامه. فدعست الكيس الذي فيه كلاوز الصغير فقلبته.

فصـاح كلاوز الصغيـر متأسفـاً: واحسـرتـاه! اني ما زلت صغيـراً على الذهاب الى ملكوت السماء!

فقال راعي الماشية: وانا كبير ولا استطيع مع ذلك الذهاب اليها.

فقـال له كلاوز الصغيـر: افتح الكيس! وادخل في مكاني وسوف تصل الى السماء مباشرة.

«هـذا ما ينـاسبني» قال راعي المـاشيـة وهـو يفـك الكيس عن كلاوز الصغيـر الـذي وثب خارجـاً منـه. وقال الشيخ وهو يدخل في الكيس: «عليـك ان ترعى المـاشيـة الآن» ثم شد كلاوز الصغيـر الكيس وسـار بسوق الماشية امامه.

وخـرج كلاوز الكبيـر بعـد برهة من الكنيسة، والقى الكيس على ظهره وحسب انه صار اخف وزناً، لان راعي الماشية كان لايزيد على نصف وزن كلاوز الصغير.

وقـال: ما اخف ما صار اليـه! لعل ذلك بسبب دخولي الكنيسة ودعائي عليـه». ثم مضى الى النهـر الـذي كان عريضاً وعميقاً، فالقى الكيس الذي فيه راعي الماشية الى الماء.

وصـاح: «انـك لن تخـدعني مرة اخرى!» فقد اعتقد انه كلاوز الصغير ثم عاد ادراجه الى البيت، غير انه لما بلغ مفترق الطرق، الفى كلاوز الصغير يسوق قطيعاً من الماشية.

فهتف كلاوز الكبير مندهشاً: ماهذا الذي ارى؟ الم اغرقك في النهر؟

فقال كلاوز: اجل، وقد كان ذلك قبل نصف ساعة عندما القيتني في النهر.

فسأله كلاوز الكبير: ولكن كيف حصلت على هذه الحيوانات الرائعة؟

فاجابه كلاوز الصغير: انها ماشية بحرية ساحكي لك القصة كاملة. واني لاشكرك حقاً شكراً من صميم قلبي لانك اغرقتني. وقد غدوت الآن فوق الشجر وصرت رجلاً ثرياً، كما ترى. كنت خائفاً عندما كنت في الكيس! وقد اعولت الريح في اذني عندما القيتني من فوق الجسر الى الماء البارد. وسرعان ما غصت الى القاع ولكنني لم أتألم، لان العشب هناك ناعم بشكل رائع.

وقد فتحت الكيس احدى الحور الحسان في ثياب ناصعة كالثلج وعلى راسها اكليل اخضر كالزمرد. اخذت بيدي قائلة: اهذا انت يا كلاوز الصغير؟ خذ هذه الماشية لك، وستجد قطيعاً آخر على بعد نصف ميل في الطريق العام سوف احضره لك ايضاً». فالفيت النهر طريقاً عاماً عظيماً لاهل البحر. وهم يسيرون على قاعة ويسوقون قطعانهم حتى يبلغوا بها مصب النهر. الزهور هناك يانعة رائعة والعشب غض نضير! وكان السمك السابح يمر بقربي مثل طيور السماء. ألا ما اروع الناس هناك، وما اكثر الماشية التي تسرح في الاسفل!.

فسأله كلاوز الكبير: فلماذا اذن خرجت مرة اخرى. فاني لن اخرج ان كان الامر رائعاً كما تصف.

فقال كلاوز الصغير: اوه، هذا من دهائي. فانت تتذكر انني قلت لك ان الحورية اخبرتني انني سأجد في انتظاري قطيعاً آخر على بعد نصف ميل من الطريق العام، وكانت تقصد النهر بالطريق العام، لانها لاتستطيع ان تمشي في غيره، وكنت اعرف ما في النهر من منعطفات كثيرة والتواءات. فاذا ماخرجت الى اليابسة وسرت في طريق اقصر، اختصرت المسافة كثيراً فيمكنك ان تختصر ميلين بذلك، وتحصل

على الماشية بوقت اسرع.

فقال كلاوز الكبير: انك لرجل موفور الحظ. اتظنني سأحصل على شيء من الماشية البحرية اذا مانزلت الى قاع النهر؟ فقال كلاوز الصغير: اني واثق من ذلك، ولكنني لااستطيع ان احملك الكيس الى النهر، فانت ثقيل جداً، واذا شئت مشيت ثم دخلت الكيس، والقيت بك في النهر بكل سرور.

فقال كلاوز الكبير: شكراً لك، ولكني اذا لم احصل على شيء من الماشية البحرية عندما اصل هناك، فانك سترى كيف ساضربك ضرباً مبرحاً.

فقال كلاوز الصغير: ارجوك، لاتكن قاسياً عليّ!

ثم مشيا الى النهر. وما ان رأت الماشية الماء حتى انقضت نازلة لتشرب فقد كانت شديدة العطش. فقال كلاوز الصغير انظر اليها! انها مسرعة تريد النزول الى القاع مرة اخرى.

فقال كلاوز الكبير: «ساعدني الآن والا ضربتك... ثم دخل الكيس الكبير الذي كان ملقى على ظهر احدى الابقار. واردف قائلاً. ضع صخرة كبيرة فيه والا فلن اغطس فقال كلاوز الصغير: «لاتخش من هذا» ثم وضع صخرة كبيرة في الكيس ودفعه فوقع الكيس وكلاوز الكبير في النهر حيث غرقا في الحال.

وقال كلاوز وهو يسوق قطيعه الى البيت: اخشى ان لا يجد ماشية.

البلبل



الامبراطور في الصين، كما تعلمون، صيني، وكل من يحيط به صيني ايضاً. وقد جرت احداث القصة التي سأرويها لكم قبل سنوات كثيرة، وهذا سبب مبرر لروايتها لئلا يطويها النسيان.

كان قصـر الامبـراطـور اجمل شيء في الدنيا. وقد بني من اروع انواع الخــزف النفيس، الهش الــذي لايمس الابحـذر شديـد. وكـان في حديقتـه انـدر انـواع الـزهـور. وقد ربط في اجملها اجراس صغيرة من الفضة التي ترن على الدوام لئلا يغفل اي عابر سبيل عن رؤيتها. وقد

وضعت تفاصيل الحديقة الدقيقة في الحسبان، وكانت الحديقة واسعة جداً حتى ان البستاني نفسه لايعرف اين منتهاها.

واذا ما واصل المرء سيره، بلغ غابة جميلة ذات اشجار باسقة وبحيرات عميقة، وتمتد الغابة الى البحر العميق الازرق الذي تسير فيه سفن كبيرة تحت اغصان الاشجار مباشرة. وفي هذه الاشجار يعيش بلبل عذب الاغاريد تجعل حتى صياد السمك الفقير يتريث للاستماع اليه بالرغم من مشاغله الكثيرة عندما يخرج ليلا ليلقي شباك الصيد. فيقول: «الله، ما اعذبه!» ثم ينغمر في عمله وينساه. وعندما يسمعه في الليلة التالية يكرر اعجابه: الله، ما اعذبه!

وكان السياح يفدون الى عاصمة الامبراطور من ارجاء الدنيا، فيبدون اعجابهم في كل شيء، وخصوصاً القصر والحدائق، غير انهم ما ان يسمعوا البلبل حتى يهتفوا جميعاً: هذا اجمل كل شيء! واذا ما عادوا الى اوطانهم راحوا يسرفون في وصفه وألف العلماء كتباً كثيرة عن المدينة والقصر والحديقة، ولم ينس احد البلبل، بل كان يأتي قبل كل شيء. وكان الشعراء منهم ينظمون ابدع القصائد عن البلبل في الغابة المجاورة للبحر الازرق العميق. وقد انتشرت هذه الكتب في ارجاء الدنيا حتى بلغ الامبراطور بعضُها فجلس على عرشه الذهبي وراح يقرأ ويقرأ وهو يومىء برأسه مسروراً بما يسمع من اوصاف جميلة بحق المدينة والقصر والحديقة بيد انه قرأ: ولكن البلبل اجمل كل شيء وتساءل: ماهذا؟ البلبل؟ انا لااعرف شيئاً عنه. أثمة طائر كهذا في مملكتي وفي حديقتي ولم اسمع به؟ تصور اني اتلقى ذلك من كتاب!.

فنادى مرافقه الجليل المقام الذي لايجرؤ احد ادنى منه مرتبة ان يكلمه او يسأله .
فقال الامبراطور: يقال ان طائراً عجيباً يدعى بلبلاً موجود هنا. ويقولون انه اجمل شيء في مملكتي العظيمة كلها. فلم لم يخبرني احد عنه شيئاً .
فقال المرافق : لم اسمع له ذكرا. ولم يقدمه احد الى البلاط فقال الامبراطور: اود ان يؤتى به الى هنا ليغرد لي مساء هذا اليوم فالدنيا كلها تعلم بما املك، وانا لااعلم شيئاً عنه!
فقال المرافق : لم اسمع بذكر له قبل هذا. وسابحث عنه حتى اجده» .
ولكن اين يعثر عليه المرافق الذي صار يصعد سلماً ويهبط آخر ويدخل جميع الحجرات والممرات؟ ولم يكن كل من صادفه قد سمع شيئاً عن البلبل. فعاد المرافق الى الامبراطور يخبره ان الامر لابد ان يكون تلفيقات مؤلفي الكتب فيجب الا يصدق جلالة الامبراطور كل مايكتب: فكثيراً ماتكون الكتب محض اختلاقات، ان لم تكن مما ندعوه بالسحر الاسود. فقال الامبراطور: ولكن الكتاب الذي قرأت فيه عن البلبل ارسله الي امبراطور اليابان الجبار فلا يمكن ان يكون افتراء . سأسمع هذا البلبل واصر على احضاره هذه الليلة. وساحيطه برعايتي السامية وان لم يحضر، فاني ساجعل كل افراد البلاط يسحقون بالاقدام بعد العشاء .
فقال المرافق : «حسناً» وخرج يعدو وصار يصعد السلالم جميعاً وينزلها، ويدخل الحجرات والممرات ويخرج منها. ونصف افراد البلاد يجرون معه، فلم يكن احد منهم يرغب في ان يسحق بالاقدام .

واستفسروا كثيراً عن البلبل الذي تعلم الدنيا كلها عنه ولكن لايعرف احد في البلاط عنه شيئاً.

واخيراً وجدوا في المطبخ فتاة صغيرة مسكينة قالت: الله! البلبل؟ اني اعرفه جيداً. اجل انه يستطيع التغريد. ففي كل مساء احمل بقايا الطعام مما يسمح لي به الى امي المريضة المسكينة التي تسكن على الساحل. ولدى عودتي منها، ارتاح قليلاً في الغابة، بعد العناء الذي يصيبني، فاسمع البلبل عند ذلك، فتترقرق الدموع لتغريده في عيني، واشعر كأن امي تقبلني.

فقال المرافق: ايتها الفتاة الصغيرة. ساحصل لك على وظيفة دائمة في المطبخ. واذن بمشاهدة الامبراطور وهو يتغدى، اذا مااخذتنا الى البلبل. فقد امر الامبراطور باحضاره الى البلاط هذه الليلة. فخرج الجميع الى الغابة حيث اعتاد البلبل ان يغرد. وكان نصف حاشية البلاط معهم، وبينما هم يحثون خطاهم، شرعت بقرة بالخوار.

فقال احد شباب البلاط: لقد وجدناه اخيراً فما اقوى صوت هذا المخلوق الصغير! لقد سمعته قبل هذا.

فردت الفتاة عليه قائلة: لا، بل هذه ابقار ترسل خوارها. ومازلنا بعيدين عن مكان البلبل.

واخذت الضفادع بالنقيق في المستنقع فقال كاهن صيني: ما اروع هذا! كأنه رنين اجراس.

فقالت صبية المطبخ: لا، بل هذه ضفادع، واظن اننا سنسمعه في الحال.

ثم شرع البلبل يغرد.

فقالت البنت: انصتوا، انصتوا! هاهو ذا جاثم.
واشارت الى طائر رمادي صغير بين الغصون.
فقـال المـرافق مندهشاً! اهذا ممكن؟ لم اكن احسب انه بهذا الشكل فيـالـه من طائـر مألوف! ولابد ان الوانه قد زالت لدى رؤية عدد كبير من الناس الاجلاء.
ونـادت الفتاة بصوت مرتفع! ايها البلبل، ان امبراطورنا المبجل يرغب ان تغرد له.
فقال العندليب: بكل سرور.
وطفق يشدو باعذب الالحان.
فقـال المـرافق: كأنـه اجـراس بلور. انظروا الى حنجرته الصغيرة. ما انشطهـا! ومن الغـريب اننـا لم نسمـع به من قبل ولاريب انه سيحظى بنجاح باهرٍ في البلاط.
فقال العندليب: «هل اغني للامبراطور ثانية؟» وقد حسب الامبراطور حاضراً.
فقال المرافق: ايها البلبل العزيز، لي الشرف ان ادعوك الى حفلة في البلاط مساء هذا اليوم، حيث تفتن جلالة الامبراطور المبجل بشدوك الساحر.
فقال البلبل: ولكن صوتي بين الاشجار افضل.
بيـد انـه ذهب معهم عن طيب خاطـر عندما سمع ان الامبراطور يرغب في ذلـك. وقـد زين القصـر بالانـوار البـاهـرة من اجل هذه المناسبة. فتألقت الجـدران والارض الخـزفيـة بضـوء آلاف المصـابيـح الذهبية ورتبت اجمل الازهار من ذوات الاجراس في الممرات. والناس كالتيار

العظيم يغـدون ويـروحـون، ممـا جعـل الاجـراس ترن بلحن يملأ الاذان. وفي وسـط بهـو الاستقبـال العظيم، حيث جلس الامبراطور، ثبت صولجـان ذهبي ليقف عليـه البلبـل. وقد حضر كل افراد البلاط، وسمحـوا لصبيـة المطبـخ ان تقف وراء البـاب، فقـد نالت الآن لقب «طباخة». وقد ارتدى الجميع افضل مالديهم. وتوجهت اعين الجميع صوب الطائر الرمادي الصغير الذي كان يومىء له الامبراطور.

وغـرد البلبـل لحنـاً شجيـاً، فاغـرورقت عينـا الامبراطور بالدموع التي سالت على خديه، وذابت قلوب السامعين من شدوه الساحر.

فامـر الامبـراطـور من فرط بهجتـه ان يلبس البلبـل خفـه الذهبي حول عنقه، غير ان البلبل انحنى شاكراً ـ فقد جزاه خير الجزاء. وقال: رأيت الـدمـوع في عيني الامبـراطـور، وهـذا انفس جزاء انـالـه فان لدمـوع الامبراطور تأثيراً عظيماً. ويعلم الله اني قد نلت افضل ثواب. ثم عاد البلبل الى شدوه البهيج، العذب.

وقـالت السيـدات: هذا اروع غنـج اشهده. وتناولن شيئاً من الماء في افـواههن ويقـرقـرن اذا ماتحـدث احـد اليهن، ويخيـل اليهن انهن يضـاهين البلبـل وحتى الخـدم، رجـالاً ونساء، اعلنوا رضاهم، وهذا شيء عظيم، لانهم انـاس يصعب ارضـاؤهم. ولقـد قرر البلبـل، في الحقيقـة، ان يبقى في البـلاط وان يكـون له قفص خاص ويؤذن له ان يخرج مرتين في النهار ومرة واحدة في الليل. وقد خصص له اثنا عشر خادماً، كل منهم يمسك خيطاً شد برجل البلبل. فلم يعد في الخروج بهذا الشكل مايبهج نفسه.

وغـدا الطـائـر العجيب حديث المـدينـة كلهـا. واذا ما التقى اثنان قال

الاول لصاحبه «بل» فاجابه الآخر «بل» ثم يتنهد ان ويفهم احدهما الآخر. وقد سمي احد عشر طفلاً من ابناء التجار باسم «بلبل». ولكن لم يستطع احد منهم ان يغني شيئاً.

ووصلت الامبراطور ذات يوم رزمة كبيرة، كتب عليها كلمة «بلبل».

فقال الامبراطور: ها نحن نتلقى كتاباً جديداً آخر عن هذا الطائر الشهير». ولكنها لم تكن كتاباً، بل عمل فني صغير في علبة، عندليب صناعي يشبه العندليب الحي تماماً، سوى انه مرصع بالماس والعقيق والياقوت.

واذا ما ادير لولب الطائر الصناعي فانه يستطيع ان يشدو باحدى اغنيات البلبل الحقيقي، ويهز ذيله الذي يلتمع ببريق الفضة والذهب. وقد شد شريط حول رقبته كتب عليه: بلبل امبراطور الصين لايقارن ببلبل امبراطور اليابان.

وقال الجميع: «ما اجمله!» ومنح الذي جلب الطائر الصناعي لقب «رئيس حَمَلة البلبل الامبراطوري».

ـ يجب ان يغرد الاثنان معاً. فما اروعهما من ثنائي! وغردا معاً، ولكن لم يستمرا على مايرام، لان البلبل الحقيقي غرد بطريقته الخاصة، ولم يغرد البلبل الاصطناعي سوى الحان صاخبة.

ولكن استاذ الموسيقى قال: لاشائبة في ذلك. فهو مضبوط في التوقيت وصحيح في كل شيء.

ثم كان على البلبل الاصطناعي ان يغرد وحده. ونجح في ذلك نجاحاً باهراً. كالبلبل الحقيقي. وكان منظره ابهى لانه يلتمع كالاساور والقلائد.

غنى اللحن نفسه ثلاثاً وثلاثين مرة، ولم يكل. وطلب الناس سماعه مرة اخرى من البداية، غير ان الامبراطور قال ان نوبة البلبل الحقيقي قد حانت.ولكن اين البلبل؟ لم يلحظ احد انه طار من النافذة المفتوحة عائداً الى غابته الخضراء.

فقال الامبراطور: مامعنى هذا؟

وراح رجال الحاشية يصبون اللوم على البلبل وبنعتونه بالجحود. ثم قال قائلهم: ولكن بالرغم من ذلك، لدينا افضل الطيور. واضطر الطائر الاصطناعي ان يغرد مرة اخرى، المرة الرابعة والثلاثين فسمعوا اللحن نفسه، بيد انهم لم يستطيعوا حفظه كاملاً لصعوبته البالغة.

واثنى استاذ الموسيقى على الطائر ثناء كثيراً واصر على رأيه انه افضل من البلبل الحقيقي، ليس في مظهره المزين بالجواهر بل في دخيلته ايضاً. وقال: ترون سيداتي وسادتي، وعلى رأسكم الامبراطور، انكم لاتعرفون ابداً ماتسمعون من البلبل الحقيقي، بيد ان البلبل الاصطناعي قد صمم كل شيء مسبقاً. فهذا وضعه وسيبقى كذلك، ولن يكون غير ذلك. فبوسعكم تفسير الامور، وتستطيعون فتحه ورؤية البراعة البشرية في ترتيب عمل الالحان الموسيقية، وكيف تتوالى واحدة في اثر اخرى. فقالوا جميعاً: هذا هو رأيي بالضبط.

واستأذنهم استاذ الموسيقى ان يعرض الطائر على الجمهور في يوم الاحد القادم. وامر الامبراطور ان يسمعوه مغرداً، فاستمعوا اليه وطربوا له كأنهم ثملوا بشرب الشاي، فتلك عادة صينية بحت.

وهتفوا استحساناً ورفعوا سباباتهم وأومأوا برؤوسهم، غير ان صياد السمك المسكين الذي سمع البلبل الحقيقي قال: «شدوه لطيف

ويكاد يضاهي البلبل الحقيقي، ولكن ينقصه شيء. ولا اعرف ذلك».
وطرد البلبل الحقيقي من المملكة.

وتبوأ الطائر الاصطناعي مقعده على فراش من حرير الى جوار سرير الامبراطور. ونثرت حوله هدايا الذهب والجواهر الكريمة التي تلقاها. وارتقى الى لقب «مغني المهجع الامبراطوري الكبير». اما في المرتبة فقد كان الاول من جهة الشمال لان الامبراطور يرى ان تلك الجهة التي فيها القلب هي الجهة المهمة. وفيها حتى قلب الامبراطور نفسه.

وكتب استاذ الموسيقى خمسة وعشرين كتاباً عن الطائر الاصطناعي. وكان البحث مسهباً وقد دون باصعب الحروف الصينية. وقال الجميع انهم قرأوه وفهموه، والا لقيل عنهم انهم اغبياء، وتسحق ابدانهم تحت الاقدام.

وسارت الامور على هذا المنوال سنة كاملة. وحفظ الامبراطور وحاشيته وكل ابناء الصين كل نغمة في غناء البلبل الاصطناعي عن ظهر قلب. فاحبوه من اجل هذا، وكان بوسعهم مصاحبته في الغناء، بل حتى اطفال الشوارع كانوا يترنمون بالحانه... وكذلك الامبراطور نفسه.

ولكن في مساء يوم من الايام، عندما كان البلبل يشدو بالغناء وكان الامبراطور مستلقياً في سريره يصغي اليه، انهار في داخل البلبل شيء وهو يئز. فتوقفت العجلات وانقطعت الموسيقى. ووثب الامبراطور من سريره وارسل في طلب اطبائه المختصين، ولكن اي شيء يستطيعون؟ ثم ارسلوا الى صانع الساعات الذي استطاع بعد كلام طويل وعمل مستفيض ان يعيد الجهاز الى العمل بشكل من

الاشكـال. ولكنـه اوصى ان يرتـاح البلبـل قدر المستطاع، فقد اصابه الانهـاك كثيـراً، وانـه لايستطيـع تجـديـد اجـزائه بشكل يضمن تدفق الحـانـه. وكـانت تلك ضربة عظمى! فسمحوا للبلبل الاصطناعي ان يغرد مرة واحدة في السنة فقط..

ثم القى استـاذ المـوسيقى خطاباً قصيراً مستعملاً فيه اصعب الكلمات الصينيـة. وقـال ان البلبل على مايرام كسابق عهده، وبقوله هذا جعله البلبل كذلك.

مضت خمس سنـوات ثم اصـاب الامـة خطب عظيم. فقـد مرض الامبراطور الذي يحبونه حباً جماً، وقيل انه لن يعيش. واختير امبراطور جديد، ووقف الناس في الشارع يسألون مرافق الامبراطور عن حاله. وتمتم وهو يهز رأسه.

ورقد الامبراطور شاحباً، بارداً في سريره الوثير. وظن افراد الحاشية انه مات، فخـرجـوا لاداء فرائض التبجيل لامبراطورهم الجديد. وركض الخـدم ينقلون الاخبار، واقامت الخادمات حفلة قهوة كبرى. وفرشت الحجرات والممرات بالبسط ليخمدوا وقع اقدام السائرين. فساد هدوء مطبق، غير ان الامبراطور لم يلفظ انفاسه بعد، بل ظل شاحباً، هامداً في سريره الوثير بستائره المخملية واهدابه الذهبية الثقيلة. وانهمر ضوء القمـر من نافـذة مفتوحة في اعلى الجدار على الامبراطور وعلى البلبل الاصطناعي الذي بجانبه. ولم يكن بوسع الامبراطور ان يتنفس فكأن ثقلاً عظيماً على صدره.

وفتح عينيه فرأى الموت جاثماً على صدره وقد لبس تاجه الذهبي. ومسـك سيف الامبـراطور الذهبي بيد والراية الامبراطورية بيد أخرى.

واختلست النظر من بين طيات الستائر المخملية وجوه غريبة، بعضها قبيح، وغيرها سار، لطيف. تلك هي اعمال الامبراطور السيئة والحسنة، تنظر في وجهه والموت جاثم عليه. فهمست واحدة بعد اخرى: اتذكر ذلك؟ اتذكر هذا؟ وذكرت له اشياء كثيرة حتى سال العرق على وجهه. وقال: «لا اعرف هذا قط» وصاح: «الموسيقى، الموسيقى! اقرعوا طبول الصين العظيمة، لئلا اسمع ما تقول» ولكنها واصلت سرد افعاله والموت جالس يومىء برأسه مثل حكيم صيني لكل مايقال: فعاد الامبراطور يصرخ: «الموسيقى، الموسيقى! ايها الطائر الذهبي النفيس، غرد، غرد! لقد اثقلت بالاحجار الكريمة، وعلقت حتى حذائي الذهبي حول رقبتك. غرد، اقول لك، غرد! غير ان الطائر ظل ساكناً فلم يكن احد يدير اللولب، لذا لم يستطع ان يشدو. وظل الموت محملقاً بمحجرية الخاليين في الامبراطور، وخيم صمت رهيب.

وفجأة انطلق شدو رخيم قرب النافذة. فقد جثم بلبل حي على غصن في الخارج. وقد تناهى الى سمعه حاجة الامبراطور فجاء ليدخل السكينة والامل الى نفسه. وما ان بدأ بالغناء، حتى شحبت الوجوه المحيطة به وعادت الدماء تجري في عروق الامبراطور ودب النشاط في اوصاله الواهنة. واصغى الموت نفسه الى الغناء وقال: استمر، ايها البلبل الصغير، استمر!.

فاجابه البلبل: اجل، اذا ما اعطيتني السيف الذهبي الرائع، اجل، اذا ما اعطيتني الراية الامبراطورية، اجل، اذا ما اعطيتني تاج الامبراطور.

فاعـاد المـوت كل هذه الكنـوز من اجـل اغنيـة، ثم راح البلبل يواصل الغنـاء شاديـاً في انحاء المقبرة الهادئة حيث ازدهرت الورود وتضوعت الزهور العتيقة بشذاها في الاجواء، وتخضلت الاعشاب الطرية بدموع النـائمين، فاشتـاق المـوت الى خرائبة، فتسلل من النافذة مثل ضباب بارد قاتم.

فقـال الامبـراطـور: شكـراً لك وحمـداً ايها الطائر القدسي الصغير اني اعـرفـك: كنت قد نفيتك من مملكتي ولكنك بالرغم من ذلك سحرت الـرؤى الشـريـرة بعيـداً عن سريـري بشـدوك العـذب، وابعدت حتى الموت عن فؤادي. فكيف لي ان ارد لك جميلك؟.

فاجـاب البلبـل: لقد جزيتني خير الجزاء اذ جلبتُ الدموع الى عينيك اول مرة غنيت لك، ولن انسى ذلـك ابـداً. تلك هي الجـواهـر التي تجلب السـرور الى قلب المغني. ولكن ارقـد الآن، ثم استيقظ قوياً، معافى وسأغني لك الآن.

غرد البلبـل له فاستسلم الامبـراطور في رقاد منعش. واشرقت الشمس من نافـذتـه. فاستيقـظ منتشياً معافى. ولم يكن احد من الخدم قد عاد اليـه بعـد، فقـد حسبـوا انـه مات، غيـر ان البلبل ظل في مكانه يرسل الشدو الرخيم.

فقـال الامبـراطور: عليك ان تبقى معي دائماً. وستغني متى يروق لك الغناء وساكسر البلبل الاصطناعي واجعله الف قطعة.

فقـال البلبـل: لاتفعـل ذلـك، فقـد فعل كل مابوسعه، احتفظ به كما احـتـفظت به دائمـاً، لاني لااستطيـع ان ابني عشي واعيش في هذا القصـر، ولكن لتأذن لي بالمجيء متى شئت وسـاحط على غصن عند

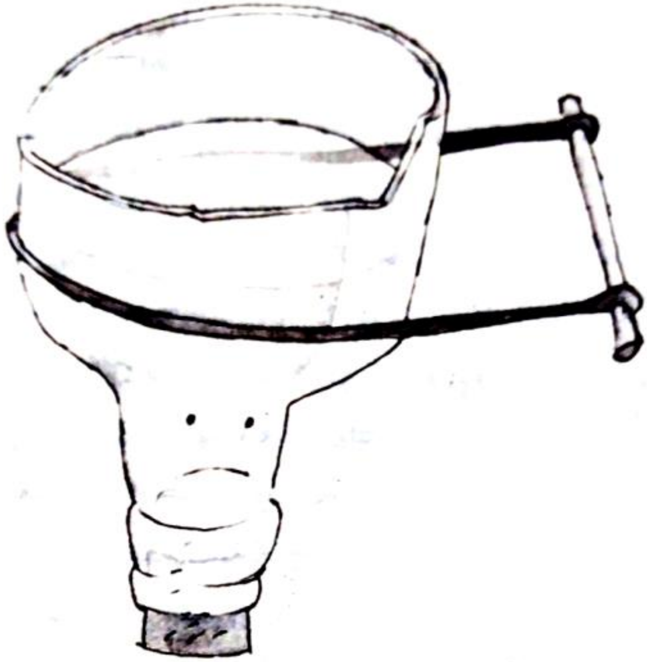
المساء واغني لك. ساشدو حتى اسري عنك واجلب البهجة الى نفسك، واجعلك تستغرق في التفكير ايضا. سأغني لك عن السعداء وعن التعساء. ساغني عن الخير وعن الشر الخفيين عنك. سيحلق الطائر المغرد الصغير في طول البلاد وعرضها، ويذهب الى السماك الفقير وبيت الفلاح، والى كثير من الناس البعيدين عنك وعن بلاطك، إني احب قلبك اكثر من تاجك، الذي لا يخلو من عطر مقدس يطوف به! ساعود واغرد لك. ولكن بعد ان تعاهدني بشيء واحد.

«بكل شيء!» قال الامبراطور الذي كان واقفاً بملابسه الامبراطورية التي ارتداها تواً، وهو يحمل سيفه المثقل بالذهب الى صدره.

ـ اسألك شيئاً واحداً: الا تخبر احداً عن طائر صغير ينقل اليك كل شيء. هكذا افضل.

ثم حلق البلبل مبتعداً. وجاء الخدم يلقون نظرة على الامبراطور الميت ـ فوجدوه واقفاً يقول لهم: صباح الخير!.

عنق الزجاجة



يقـع قريبـاً الى منعطف احـد الشـوارع بين منـازل الفقـراء بيت شامخ وضيق، اصـابتـه يد الـزمـان فبـدا متصـدعاً في كل مكان، سكن هذا البيت انـاس فقـراء، غيـر ان اشـد علائم الفقـر كانت ظاهرة في العلية تحت الجملون. عُلق امـام النـافـذة الصغيرة في الشمس قفص طيور قديم، يخلو حتى من قدح منـاسب للمـاء، ووضِـع بدلاً من ذلك عنق زجـاجـة مكسـور، قلب رأساً على عقب وسد بفلينة لمنع تسرب الماء الذي مليء به. ووقفت امرأة عجوز لدى النافذة. وعلقت فوق القفص

عشباً للطائر ياكل ورقه وحبه، وراح العصفور التفاحي فيه يثب من مجثم الى مجثم وطفق يشدو ويزقزق مرحاً.

فقال عنق الزجاجة! اجل، لك ان تغرد مادام كل شيء بالنسبة اليك على مايرام.

لم يقل تلك الكلمات في الحقيقة كما نقولها نحن، لان عنق الزجاجة لايستطيع الكلام، ولكنه فكر بذلك في نفسه كما يحدث للناس احياناً ان يتحدثوا الى انفسهم دونما صوت.

ثم واصل قوله: اجل، بوسعك ان تغرد جيداً. فكل اوصالك سليمة. اتشعر مايعني اذا فقدت جسمك ولم يبق لديك الا عنق وفم سُدَّ بفلينة كما حصل لي؟ لن تغرد عند ذاك، كما اعلم ولكن بالرغم من ذلك كله يمكن ان يكون بعضهم سعيداً. وليس لدي سبب يدعوني الى الغناء، ولايسعني الغناء حتى ولو كنت سعيداً غاية السعادة. ولكن ألم اغن عندما كنت قنينة كاملة لدى رفع الفلينة اووضعها؟ لقد اعتادوا ان يطلقوا علي اسم القبرة. واني اتذكر عندما خرجت في نزهة مع عائلة الفرّاء، في اليوم الذي خطبت فيه ابنته. يبدو كأن الامر حدث امس. وعندما تعود بي الذكرى الى الماضي اجد اني كابدت كثيراً في زماني فقد دخلت النار والماء، وغصت في اعماق الارض، وصعدت عالياً في الجو، وهأنذا الآن اتأرجح خارج قفص طائر في الهواء وفي الشمس. واني ارى في الحقيقة ان قصتي جديرة ان تسمع، غير انني لااتكلم بصوت مسموع، لسبب وجيه جداً، هو انني لا استطيع ذلك.

ثم شرع عنق الزجاجة بسرد حكايته التي كانت عجيبة حقاً انه في الواقع سردها لنفسه او بالاحرى فكر بها في خاطره.

وشدا الطائر الصغير مرحاً باغاريده. وفي الشارع تحته كانت المركبات

تجـري والخيـول تعـدو والنـاس تروح وتجيء . وكـل امـريء منشغل بشؤونـه الخـاصـة، اولعله خالي البـال من شأن ـ بيد ان عنق الزجاجة كان يفكر تفكيراً عميقاً .

فكر بالفرن المضطرم في المصنع حيث نفخت فيه الحياة. وتذكر شدة الحـرارة التي شعـر بها عندما وضع في الفرن اللاهب، الذي وثب منه وكـان به ميـل شديـد للوثوب الى الخارج مرة اخرى، غير انه شعر بعد برهة بالبرودة ووجد نفسه مرتاحاً غاية الراحة. ووضع في صف مع فوج من اخـوتـه واخـواتـه، اخـرجوا جميعاً من الفرن نفسه. وقد نفخوا في بعضهـا فغـدت قنـاني للشـراب واخـرى للدواء. وقد يحدث في هذه الـدنيـا ان تحتـوي قنـاني الشـراب بعد فراغها على نفط وقناني الدواء على صبغ احذية. وحتى بعد الذل يمكن ان يعرف في ما اذا كان المرء كريم المولد. فالنبيل يظل نبيلاً، كما تبقى قنينة الشراب نفسها، حتى ولو كان في داخلها نفط .

وعندما وضعت القناني في علبة، وضعت قنينتنا بينها. ولم تكن تتوقع ان يؤول مصيرها الى عنق زجاجة او ان تستعمل منهلاً في قفص طائر، وهـو موضـع مشـرف بالرغم من كل شيء، لان في ذلك شيئاً من النفع في هذه الدنيا. ولم تر القنينة نور النهار مرة اخرى حتى فكت العلبة عن الاخـريـات في قبو تاجر المشروبات. وغسلت برفق اول مرة، مما اثار فيهـا احـاسيس غريبـة. وبقيت هنـاك فارغـة وبدون فلينة، وداهمهما شعور فريد كأنها تريد شيئاً، ولكنها لاتعرف ماهو.

واخيـراً ملئت بشـراب نفيسٍ، غالٍ، وسـدت بفلينـة وختمت ختمـاً محكمـاً. ثم لصقت عليهـا رقعة كتب عليها «صنف درجة اولى» كأنها نالت الــدرجــة الاولى في الامتحـان. على ايـة حال، كان الشـراب

والقنينـة جديـدين. وعنـدما نكون صغاراً فان ذلك هوزمن الشعر. فقد ترددت في داخـل القنينـة اصوات غناء، واشياء لم تستطع ان تفهمها، وجبـال خضـر مشمسـة حيث تنمـو الكـروم ويضحـك قاطفو الاعناب ويغنـون ويمـرحون. «آه، ما اجمل الحياة!». لقد كانت انغام البهجة والغنـاء هذه في القنينـة مثـل مايعتمـل في فكر شاعر شاب لايعرف في الغالب معنى الانغام التي تتردد في دخيلته.

ذات صباح وجدت القنينة مشترياً في شخص غلام الفراء الذي طلب منـه ابتيـاع افضل قناني الشراب. ووضعت في سلة الطعام مع اللحم والجبن والسجق. وضعت ابنة الفراء في السلة اطيب زبد طازج وافخر خبز، لانها هي التي رتبتها. كانت البنت حسناء فتية. تضحك عيناها العسليتان. وتتريث حول شفتيها ابتسامة عذبة كتلك التي في عينيها. كانت رقيقـة اليـدين ببيـاض فاتن، وكـانت رقبتها اكثر بياضاً. وحسنها الخـلاب يجلب الانظـار في الحـال، ولم تكن مخطـوبـة بالـرغم من ذلـك. ووضعت سلة الطعـام في حجر الفتاة عندما خرجت العائلة في عربـة الى الغـابـة. واختلست القنينـة النظـر من بين ثنـايـا المنـديـل الابيض. كان على الفلينة شمع احمر، ونظرت القنينة الى وجه الفتاة مباشرة والى وجه البحار الشاب الجالس الى جانبها. كان صديقاً، وهو ابن رسام وجوه. نجح مؤخراً بدرجة شرف ليكون وكيل ربان. وكان من المقـرر ان يبحـر في صبـاح اليوم التالي في سفينته الى شاطيء بعيد. وجرى حديث طويل في هذا الموضوع، عندما كانت السلة تعبّاً، وفي اثناء الحـديث لم تكن عينـا ابنـة الفـراء وفمها تحمل تعبيراً دالاً على البهجة الغامرة.

وتجـول الشـابـان في الغـابـة الخضراء وتحدثا معاً. اما عمّ تحدثا فلم

يكن بوسع القنينة ان تعلم لانها كانت في سلة الطعام . وظلت فيها مدة طويلة ولكن تبين اخيـراً ان شيئـاً مفـرحـاً قد حدث ، لان الجميع كانوا يضحكون . وضحكت ابنة الفراء ايضاً ، غير انها تكلمت قليلاً ، وكان خداها مثل وردتين . ثم تناول والدها القنينة ومفتاح الفلينة في يده . ما اغـرب الاحسـاس عنـدمـا ترفـع الفلينة اول مرة! لم يكن بوسع القنينة تنس بعـد هذا ان تنسى ذلـك العمل في تلك اللحظة . فقد حدث في داخلهـا اضطـراب عنيف عنـدمـا طارت الفلينـة ، وصوت قرقرة عندما صب الشــراب في الاقـداح . وهتف الاب : عمـراً مديـداً للخطيبين! وافرغت الكؤوس حتى الثفالة وقبل البحار الشاب عروسه الجميلة .

وقال العجوزان ـ الاب والام : السعادة والبركة لكما!

واتـرع الشـاب الاقـداح مرة اخـرى . وهتف قائـلاً : ارجـو عودة سالمة وزواجاً في مثل هذا اليوم من السنة القادمة! وعندما افرغت الكؤوس ، اخـذ القنينـة ورفعها عالياً وقال : «كنت حاضرة هاهنا في اسعد يوم من حياتي . ولن يستعملك الاخرون ابداً» ثم طوح بها عالياً في الهواء .

وظنت ابنـة الفـراء انهـا لن تراهـا مرة اخـرى ولكنهـا كانت مخطئة فقد سقطت بين نبـاتـات اسل على حافة بحيرة صغيرة . تذكر عنق الزجاجة كم لبثت ملقاة هناك خفية عن الانظار . وقال في نفسه : اعطيتهم شراباً سائغاً واعطوني ماء موحلاً . ولكني اظن ان ذلك صدر عن حسن نية .

ولـم يعـد بوسعـه ان يرى الخطيبين ولا العجوزين الفرحين ، غير انه كان يستطيع سماعهم فترة طويلة وهـم يمرحون ويغنون .

واخيـراً جاء صبيّـان من الفـلاحين صارا يختلسـان النظـر بين القصب فالفيـا القنينـة ملقـاة هنـاك . ثم تنـاولاهـا واخذاها معهما الى البيت .

وهكذا نهضوا باعبائها مرة اخرى .

كان لهـذين الصبيين في بيتهمـا الخشبي اخ بحار اكبر منهما على اهبة الخـروج في رحلة طويلة. جاء الى اهله قبـل يوم الـوداع، وكـانت امه منشغلة بتجهيزه بمختلف اللوازم ليأخذها معه في رحلته. وسيحمل الاب في المساء الرزمة الى المدينة ليودع ابنه مرة اخرى وينقل اليه تحيات امه. وقد ملئت له قنينة صغيرة بشـاي من الاعشـاب الطبيـة ممـزوجـاً بشـراب البـراندي، ولفت في الرزمة. ولكن عندما دخل الصبيان، جلبا معهما القنينة الكبيرة والقوية التي وجـداهـا. هذه القنينـة تستـوعب اكثـر من القنينـة الصغيـرة وقال الجميـع ان الشـراب هذا نافع لاضطرابات المعدة، وخصوصاً بعد ان مزج بالاعشـاب الطبيـة. ولم يكن السـائل الذي صبوه الآن في القنينة يشبـه الشـراب الاحمـر الـذي كان فيها اول مرة. قطراته الان مُرة، غير انها ذات نفع عظيم احياناً ـ للمعدة. ستذهب القنينة الكبيرة الجديدة وليس القنينـة الصغيـرة. وهكـذا بدأت القنينـة رحلاتها مرة اخرى، اذ اخـذت على ظهـر السفينـة نفسها التي كان الشاب بيتر جنسن مساعد ربان فيها. غير ان مساعد الربان لم ير القنينة. ولكن حتى اذا رآها فلن يعـرفهـا اويشك انها القنينة التي شربوا منها من اجل هناءة العريسين، واملاً في اقامة الزواج عند عودته السعيدة. ولم تعد القنينة تحوي شراباً بل شيئاً نفيساً ايضاً. وكان كلما اخرجها بيتر جنسن، اطلق عليها رفاق المائدة عليها اسم «الصيدلية» لانها تحوي افضل دواء لعلاج المعدة، وكـان يقـدمهـا لهم عن طيب خاطر اذا دعت الحاجة اليها. كانت اياماً سعيـدة، وكـانت القنينـة تغني عنـدما يفركون فيها فلينة، فاطلق عليها اسم «القبرة الكبيرة» قبرة بيتر جنسن.

وانصـرمت ايـام وشهـور والقنينـة ملقاة خالية في احدى الزوايا، عندما

هبت عاصفــة، لم تكن تدري أفي طريق الـوطن هي ام بعيـداً عنـه، لانها لم تنزل الى الشاطيء قط. كانت العاصفة عاتية، والامواج هائلة الجيشـان وهي تتقـاذف السفينة ذهاباً واياباً. وتهشم الصاري الرئيس، وخُـرقت السفينـة ولم تعـد المضخات تجد نفعاً وكان الظلام يلفها من كل جانب كالليـل. وفي اللحظـة الاخيرة عندما كانت السفينة تغرق، كتب الشاب على وريقة: «اننا نغرق، وهذه مشيئة الله» ثم كتب اسم خطيبتـه واسمـه واسم السفينة، ثم وضع الورقة في القنينة الخالية التي صادف وجـودهـا قريباً منه، واغلقها بالفلينة اغلاقاً محكماً، ورماها في البحـر الهـائـج. ولم يعـرف انها القنينة نفسها التي ملئت له منها كأس البهجة والامل، وهي الآن تتقاذفها الامواج حاملة آخر تحياته، ورسالة من عالم الموتى.

غرقت السفينة وغرق معها البحارة، غير ان القنينة طافت مثل طائر لانها تحمـل رسـالة حب من قلب محب. وعندما اشرقت الشمس وغربت، شعـرت القنينـة مثـل اول يوم جاءت للوجود متلهفة ان تخرج طائرة من الفرن المتوهج. وسلمت من العواصف والهدوء، فلم ترتطم بالصخور ولم تبتلعها الكواسج، بل ظلت تجرفها المياه طوال اكثر من سنة، نحو الشمـال تارة ونحـو الجنوب تارة اخرى، كما يحملها التيار. وكانت في جميع الاحوال سيدة نفسها، غير انها تعبت حتى من تلك الحال. فان الـورقـة المكتـوبـة، وفيهـا الـوداع الاخيـر من العـريس الى عروسه، ستجلب الاسى اذا ماوصلت يديهـا، ولكن كيف الـوصـول الى تلكما اليدين الناعمتين الرقيقتين اللتين مدتا الخوان على العشب الطري في الغـابـة الخضـراء في يوم خطوبتها؟ اجل اين ابنة الفرّاء؟ واين الارض القريبة الى بيتها؟

لم تعرف القنينة عن ذلك شيئاً. فظلت ترحل وترحل حتى غدا الترحال مرهقاً آخر الامر. فلم تكن تلك مهنتها على كل حال، ولكن كان عليها ان تواصل الترحال حتى بلغت الارض اخيراً - في بلد اجنبي. ولم يكن بوسع القنينة ان تفهم كلمة واحدة في هذه البلاد. فهي لم تسمع بهذه اللغة من قبل وانها لخسارة عظمى ان لاتكون قادرة على فهم لغة من اللغات وانتشلت القنينة من الماء وفحصت من كل جوانبها.

واكتشفت الرسالة التي في داخلها واخرجت وقلبت في كل الاتجاهات، ولكن لم يفهم الناس ماكتب عليها، بالرغم من انهم ايقنوا ان القنينة القيت من على ظهر سفينة وان شيئاً يخصها كتب على الورقة. ولكن ماذا كُتب؟ هذه هي المسألة. فاعيدت الورقة الى القنينة ووضعت في خزانة كبيرة في احد البيوت الفخمة في المدينة.

وكلما وصل غريب اليهم، اخرجت الورقة وقلبت عدداً من المرات حتى غدا العنوان الذي كتب بقلم الرصاص لايقرأ. واخيرا لم يكن بوسع احد ان يميز الحروف التي فيها قط. فقد ظلت القنينة سنة كاملة في الخزانة، ثم اخرجت الى المستودع حيث علاها الغبار ونسيج العنكبوت. وما اكثر ما عادت بها الذكرى الى تلك الايام الجميلة - ايام الغابة الخضراء عندما صب منها الشراب النفيس، اوعندما كانت الامواج تهدهدها وهي تحمل في صدرها سراً، رسالة، تنهدة الوداع الاخير. بقيت عشرين سنة في المستودع، ولعلها تبقى اكثر من ذلك لولا ان البيت سيعاد بناؤه. واكتشفوا القنينة عندما ازالوا السقف وتحدثوا عنها، غير ان القنينة لم تفهم ماقالوا فاللغة لايمكن تعلمها بالجلوس في عليّة عشرين سنة. وفكرت القنينة: لوكنت في حجرة من حجرات الطابق الاسفل، لتعلمتها.

وغسلت ثم شطفت وكان ذلك ضرورياً في الحقيقة فبدت نظيفة شفافة وشعرت بالحيوية والشباب في شيخوختها، غير ان الورقة التي حملتها بامانة تلفت من الغسل. وملأوا القنينة ببذور ولكنها لم تعرف ماذا وضعوا فيها، ثم احكموا سدها بفلينة وغلفوها غلافاً متقناً، فلم يصل اليها حتى ضوء مشعل او نور فانوس واقل من ذلك شعاع الشمس او القمر. وفكرت القنينة في نفسها: «الناس تخرج للسفر لكي ترى اكثر مايمكن، وهأنذا لايسعني رؤية شيء». على انها قامت بشيء مهم. فقد رحلت الى نهاية مطافها، وفك عنها غلافها.

قال احدهم: «اي عناء اصابهم من القنينة هنا! ولعلها كسرت بعد هذا». غير ان القنينة لم تكسر، بل تحسن حالها، فقد صارت تفهم كل كلمة تقال، من هذه اللغة التي سمعتها في الفرن وقبو تاجر الشراب وفي الغابة وعلى السفينة - انها اللغة القديمة الجميلة، والوحيدة التي بوسعها ان تفهمها. لقد عادت الى وطنها، وكانت اللغة تحية ترحيب بها وشعرت من شدة بهجتها انها راغبة ان تثب من ايدي الناس، ولم تكد تلحظ ان فلينتها قد انتزعت وان محتوياتها قد افرغت، حتى الفت نفسها تحمل الى قبو وتترك فيه وتنسى. «لامكان افضل من الوطن حتى ولو كان قبواً».

ولم يخطر ببالها ان تبقى ملقاة هناك سنين طويلة - ولكنها كانت تشعر بالراحة. مكثت سنين كثيرة وطويلة في القبو حتى جاء اخيراً بعض الناس ليحملوا القناني وكانت هي بينها.

كان في الحديقة مهرجان عظيم. فقد علقت مصابيح متالقة في حبال كالزهور بين شجرة واخرى، وكذلك فوانيس من ورق ملون اشرق النور من خلالها حتى بدت كأنها زنابق شفافة. كانت الامسية رائعة والجو

رائقاً وصافياً. وتلألأت النجوم وظهر الهلال والى جانبه قرص البدر يبدو مثل كرة رمادية تحيط بها حافة ذهبية. كان المنظر جميلاً لمن يمتلك بصراً حديداً وامتدت انوار الزينة حتى ابعد الممرات الهادئة في الحديقة، بالرغم من ان ايا منها لم يعد هادئاً حيث يمكن للمرء ان ينسى نفسه ووضعت في الجوانب قناني تحتوي كل واحدة ضوء وكان بينها القنينة التي نعرفها، والتي لن تكون في يوم من الايام اكثر من عنق زجاجة تستخدم منهلاً في قفص عصفور.

وبدا كل شيء للقنينة جميلاً فقد عادت الى الغابة الخضراء بين البهجة والمتعة البالغة. وعادت مرة اخرى تسمع الموسيقى والغناء وضجيج حشد الناس وهمساتهم، وخصوصاً في ذلك الجزء من الحديقة حيث تتألق المصابيح، وتنشر الفوانيس الورقية الوانها البراقة. كانت القنينة تنتصب في ممشى بعيد، غير انه مكان لطيف للتأمل، وتحمل ضوء وغدت مرة اخرى نافعة وزينة جميلة.

ومن اليسير في مثل هذه الساعة ان ينسى المرء انه امضى عشرين سنة في عليّة، ومن الخير ان يكون قادراً على ذلك.

ومر بالقرب من القنينة زوجان، اثنان، مثل الخطيبين، البحار وابنة الفرّاء ـ اللذان تجولا في الغابة منذ عهد بعيد. وبدا للقنينة كأنها تعيش في ذلك الزمان مرة اخرى. ولم يكن الضيوف وحدهم يتمشون في الحديقة، بل الناس الاخرون الذين سمح لهم بمشاهدة الاحتفالات وروعتها.

وجاء بين هؤلاء عانسة تبدو وحيدة في هذه الدنيا. كانت تفكر، كما تفكر القنينة، بالغابة الخضراء والخطيبين القريبين الى نفسها. خطرت ببالها تلك الساعة، اسعد ساعة في حياتها، تلك التي شاركت فيها عندما

كانت هي نفسها احدى الزوجين. تلك الساعات لاتنسى ابدا، مهما كبرت الفتاة. ولكنها لم تميز القنينة. ولم تنتبه القنينة الى العانس. وهكذا يمر احدنا بالآخر في هذه الدنيا عندما نلتقي ولايعرف احدنا صاحبه كما حصل لهذين الاثنين حتى ولو كانا في المدينة نفسها.

واخذت القنينة من الحديقة مرة اخرى وارسلت الى تاجر مشروبات. وملئت ثانية بالشراب وبيعت الى ملاح جوي سيعلو ببالونه في يوم الاحد القادم. وتجمع حشد كبير لمشاهدة المنظر. واستقدمت موسيقى عسكرية وجرت تحضيرات اخرى. شاهدت القنينة ذلك كله من السلة التي قبعت فيها مع ارنب حي. كان الارنب منفعلا لانه كان يعرف انه سوف يؤخذ الى الاعلى ويرسل الى الاسفل في مظلة. على ان القنينة لم تعرف شيئاً عن «الاعلى» و«الاسفل» ورأت ان البالون ينتفخ شيئاً فشيئاً حتى لم يعد في الامكان ان ينتفخ اكثر، وبدأ يرتفع ويضطرب. ثم قطعت الحبال التي تربطه، وارتفعت سفينة الهواء في الجو بالملّاح الجوي والسلة التي تضم القنينة والارنب، في الوقت الذي كانت الموسيقى تعزف والناس تهتف ابتهاجاً واستحساناً.

وفكرت القنينة: هذه رحلة عجيبة في الجو. انها طريقة اخرى للابحار، وهنا لاخشية من الاصطدام بشيء.

وحدق آلاف الناس بالبالون. ورأته ايضا العانس التي كانت في الحديقة. فقد وقفت الآن في النافذة المفتوحة في العلبة التي علق منها قفص العصفور التفاحي الذي لم يكن فيه منهل زجاجي بل اكتفى العصفور بقدح قديم. وفي النافذة اصيص فيه نبتة آس، دُفع جانباً لئلا يسقط الى الخارج، لان العانس كانت قد مالت بجسمها خارج النافذة لترى، فقد شاهدت الملاح الجوي بوضوح في البالون، وكيف انزل

الارنب بالمظلة، ثم شرب في صحة المتفرجين جميعاً من القنينة. وبعد ذلك طوح بها عالياً في الهواء. لم تدر انها القنينة نفسها التي القى بها صديقها عالياً على شرفها في يوم الابتهاج السعيد في الغابة الخضراء، في ايام شبابها! لم يكن لدى القنينة وقت للتفكير، عندما رفعت على حين غرة قبل ان تنتبه، فوصلت اعلى نقطة تبلغها في حياتها. وتحتها ابراج كنائس وسطوح بعيدة جداً، والناس يبدون صغار جداً.

ثم بدأت بالهبـوط اسرع مما فعلت الارنب وتقلبت في الهـواء وشعرت بنفسها فتية، طليقة، على الرغم من ان نصفها مليء بالشراب. غير ان ذلـك لم يدم طويلاً. يالها من رحلة! واستطاع الناس جميعاً ان يروا القنينـة، لان الشمس اشرقت عليهـا. وكان البالون الآن بعيداً جداً وصارت القنينة بعيدة جداً ايضاً، لانها سقطت على سطح وتكسرت قطعـاً، وكـانت استمرارية القطع قوية فلم تستطع التوقف، فصارت تتواثب وتتدحرج في كل اتجاه حتى سقطت اخيراً في فناء وتكسرت الى شظايا اصغر. ولم يبق منها كاملا سوى العنق فقد كسر بشكل منتظم كأنـه قطع بماسـة وقـال احد رجال القبو: يمكن ان يكون منهل طير زجاجياً ممتازاً. ولكن اياً منهم لم يكن يمتلك طائراً او قفصاً او يأمل ان يمتلك واحـداً لمجرد انه وجد عنق زجاجة يمكن ان يستعمل منهلاً.

ولكن العـانس التي تسكن العليّة عندها طائر ويمكن ان يكون عنق الزجاجة مفيداً لها. فسدوه بفلينة واخذوه اليها. وكما يحدث غالباً في الحياة، فان الجزء الاعلى قلب الى الاسفل وملء بماء عذب، ثم علقوه في قفص الطائر الصغير، الذي راح يشدو ويسقسق اكثر مرحاً من ذي قبل.

فقال له عنق الزجاجة: لك مطلق الحق ان تغني «فقد كان عنق الزجاجة

يعتبر شيئاً رائعاً لانه صعد في البالون. ولم يعرف شيء آخر من تاريخه. وكـان بوسعه وهو معلق في قفص الطائر ان يسمع ضجيج الناس في الشارع تحته وحديث العانس في الغرفة. فقد جاءت صديقة الى زيارتها ولم تتحدثا عن عنق الزجاجة بل عن نبتة الآس في النافذة.

قالت العـانس تحدث صاحبتها: لا، لاتصر في شيئاً على باقة زهور عرس ابنتك. فيمكنك ان تحصلي على واحدة صغيرة مليئة بالزهور. أترين ماابدع مانمت الشجيرة؟ كانت عود آس صغير اعطيتني في اليوم الـذي تلا خطوبتي، نويت ان اصنع منه باقة زهور عرسي بعد مرور سنـة، غير ان اليوم لم يأتِ قط! لقـد اغمضت العينـان اللتـان كانتا ستصبحان نور حياتي وبهجتي. وراح حبيبي يرقد رقوداً هنياً في اعماق البحار. نبتة الآس عجوز، وانا اكبر منها وقبل ان تذوي نبتة الآسى التي اعطيتني غصنها، اخذت منها غصناً وزرعته، فصار شجرة كبيرة. وستظهر ازهارها اخيراً في حفلة عرس، في باقة زهور ابنتك.

وجالت دموع في عيني العانس وهي تتحدث عن حبيبها. وعن خطبتهم في الغابة. وراودتها افكار كثيرة، ولكن لم تخطر ببالها فكرة من مكان قريب اليهـا، في النـافـذة نفسها، حيث ذكرى الايام الخوالي - عنق الـزجـاجـة الـذي هتف فرحاً عندما طارت الفلينة بصوت لطيف يوم الخطوبة. ولكن عنق الزجاجة لم يعرف العانس، ولم يكن مصغياً الى ما سردته، فلعله كان يفكر بها كثيراً.

الجندي المعدني الراسخ



كان في قديم الـزمـان خمسة وعشرون جندياً من صفيح ، كلهم اخوة ، لانهم من ذرية مِلعقـة واحدة من صفيح . وكان كل واحد منهم يتنكب بنـدقيـة وينظـر امامه ، ويرتدي بدلة حمراء وزرقاء انيقة وكان اول شيء يتنـاهى الى اسمـاعهم في هذه الـدنيـا الجديـدة ، عنـدمـا رفع غطاء الصندوق عنهم ، هتاف صبي يصفق : جنود ، جنود !

وقـد كان يوم ميـلاده حين تلقى تلك الهـدية، فاسرع في نصبهم على المنضـدة وكـان الجنـود جميعـاً متشـابهين تمـام المشـابهة الا واحداً يختلف عن الباقين في ان له ساقاً واحدة فقط، لانه كان آخر من صنع فلم يبق من القصدير مايكفي لصنعه كاملاً. على انه كان يقف راسخاً على ساق واحدة مثلما يقف الاخرون على ساقين اثنتين وقد غدا هذا الجندي بالذات مشهوراً.

وكـان على المنضـدة التي نصّبوا عليها لعباً اخرى كثيرة، ولكن الشيء المهم الذي يجلب الانتباه قلعة من الورق تسر الناظرين. بوسعك ان ترى مابداخل الحجرات من خلال النوافذ. وكان في خارجها مجموعة من الشجيـرات التي تحيـط بمرآة وهي تمثل بحيرة يعكس وجهها صور بجعـات من الشمـع تسبـح فيهـا. كان كل شيء فاتنـاً، غير ان اجمل شيء فتـاة صغيـرة تقف لدى باب القلعة المفتوح وهي ايضاً من الورق ولكنهـا ترتـدي ثوباً شفافاً وعلى كتفيها شريط ازرق صغير ليكون لفاعاً (لفافاً) مزيناً بقطعة معدنية كبيرة لماعة. وقد مدت الفتاة ذراعيها لانها كانت راقصـة، ورفعت احـدى ساقيهـا عالياً في الهواء فلم ير الجندي المعدني منها شيئاً وخيل اليه انها مثله لها ساق واحدة.

ففكـر انهـا الـزوجـة التي تليق بي، غير انها اعلى مرتبة، فهي تقيم في قصر، بينما اقيم في صندوق، يشترك فيه خمسة وعشرون. وهذا مكان لايصلح لهـا. ولكن يجب ان احـاول التعـرف عليهـا. فاستلقى وراء علبـة سعـوط على المنضـدة، يستطيـع ان يرى من تلك النقطة البنت التي ظلت واقفة على ساق واحدة دون ان تفقد توازنها.

واعيـد الجنـود الى العلبـة في اواخـر المسـاء. وأوى اهـل البيت الى

اسـرتهم فحـان موعـد اللعب ان تلعب، فراحت تزور بعضهـا بعضاً، وتتحارب وتقيم حفلات راقصة. والجنود المعدنيون يسمع لهم صليل في العلبة لانهم ارادوا ان يشاركوا في اللعب، لكنهم لايستطيعون رفع الغطاء. وتقلبت كسارة البندق في الهواء، وكتبت اقلام الرصاص هراء على اللوحـة. وتعـالت الضوضاء التي ايقظت الكناري الذي شاركهم ولكن كلامـه كان شعـراً. ولم يبق في مكـانـه سوى الجندي المعدني والـراقصـة الصغيـرة. فقـد ظلت واقفة على اطراف اصابعها وذراعاها ممدودتان اما هو فقد كان راسخاً على ساق واحدة ولم يحول عينيه عنها لحظة واحدة.

ثم دقت السـاعـة الثـانية عشرة، وانفتح غطاء علبة السعوط فجأة، ولم يكن فيـه سعـوط، بل جني اسـود صغيـر مثـل عفـريت العلبـة. وقـال الجني: الا تكن خيراً وتغض من بصرك؟

ولكن الجندي المعدني تظاهر انه لم يسمع.

فقال له الجني: اذن انتظر حتى غد.

وفي الصبـاح، عنـدما نهض الاطفال، وضعوا الجندي المعدني على حافة النافذة التي انفتحت فجأة ولا اعلم ان كان ذلك بسبب الجني ام لهبوب ريح، فوقع الجندي على رأسه من الطابق الثالث.

وكـان الهبـوط رهيبـاً، فاستقـر اخيراً على قبعته وقد انغرزت حربته بين بلاطتين، وساقه شاخصة في الهواء. ونزلت الخادمة والصبي راكضين ليبحثـا عنـه وقد كادا يطأنه ولكنهما لم يرياه. ولو ان الجندي نادى: انا هنا لوجداه. ولكنه لم ير من المناسب ان يرفع صوته وهو في بدلته العسكرية.

وبـدأ المطـر ثم انهمـر مدراراً حتى غدا سيـلاً، وعندما كف المطر عن الهطـول. اقبـل صبيان في الشارع وصاح احدهما: انظر! هذا جندي معدني. سيرحل في سفينة.

وصنعا زورقاً من جريدة ووضعا الجندي في وسطه، فانطلق به في قناة الرصيف. وراح الصبيان يركضان الى جانبه وهما يصفقان. وما اعظم التيـار ومـا اعلى المـوج في القنـاة، فقد امطرت مطراً غزيراً. وتراقص الزورق الورقي صعوداً وهبوطاً، ودار حول نفسه مراراً عدة. وسرت في الجنـدي المعـدني رعشـة، لكنـه ظل صامـداً، باسـلاً، ينظر امامه، متنكبـاً بنـدقيتـه وانطلق الـزورق فجأة في نفق خشبي طويـل، وكـان الظلام حالكاً كما في الصندوق.

وفكـر في نفســه: اين تراني ذاهب؟ انهـا لاريب من فعـل الجني! الا ليت الفتـاة الصغيـرة معي في الـزورق، لمـا همني الظـلام.مهما كان حالكـا. واقبـل في هذه اللحظـة جرذ ابيض كبير من جرذان الماء التي تعيش في النفق.

وسأل الجندي: ألديك جواز؟ سلم جوازك.

ولكن الجنـدي لـم يجبـه بل ظل متمسكا ببندقيته، واندفع الزورق في سبيله وتبعـه الجـرذ وهـو يصـر على اسنـانه ويهتف بالعصي والقش ان توقفه لانه لم يدفع الرسوم ولم يقدم جوازه.

ولكن التيار تدفق اقوى فاقوى، حتى رأى الجندي المعدني ضوء النهار امامه في نهاية النفق، وسمع ايضاً دوياً خليقاً ان يثير الرعب في اشجع قلب. تصـور انـه عنـد انتهـاء النفق يتدفق التيار مباشرة في قناة كبيرة. وذلك خطر عليه كالخطر الذي ينقذف فيه فوق شلال عظيم.

واقترب من النهاية قرباً شديداً فلم يستطع ان يتوقف. وانطلق الزورق الى الخـارج. وتمـاسك الجندي المعدني المسكين في مكانه راسخاً قدر استطاعته، وليس بوسع احد ان يقول انه اجفل اي اجفال!.

فدار الـزورق حول نفسـه ثلاث او اربـع دورات وامتلأ بالمـاء حتى الحـافـة. فصار على وشك الغرق. وظل الجندي واقفاً في الماء حتى عنقـه، وطفق الـزورق يغطس اعمق فاعمق، وغـدا الـورق رخـواً اكثر فاكثر، حتى طغى الماء فوق راس الجندي.

فخطرت بباله الراقصة الصغيرة الجميلة التي لن يراها مرة اخرى وتردد هذا النشيد في اذنيه:

تقدم ايها الجندي! تقدم!

ومن الموت لن تسلم!

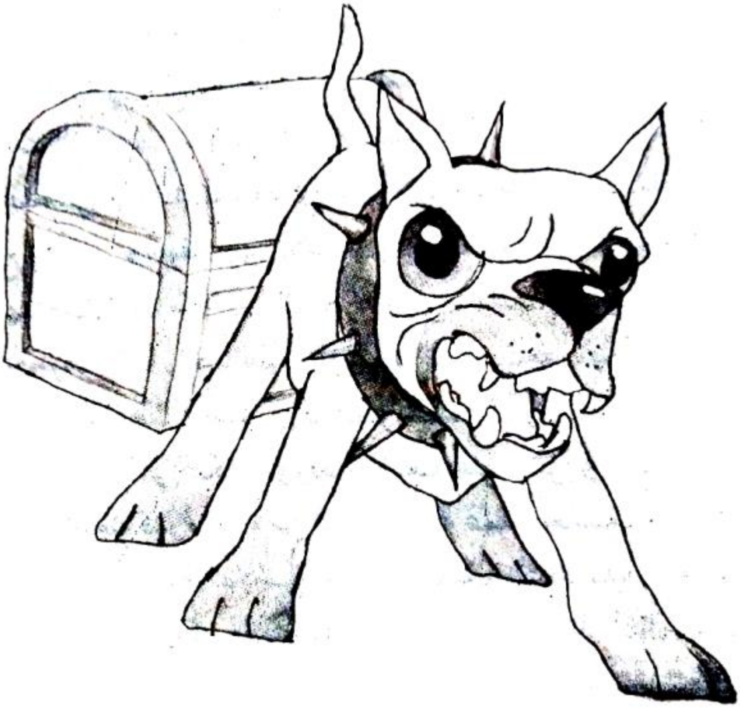
واخيراً تداعى الورق وغطس الجندي فابتلعته سمكة كبيرة.

آه ما احلك الظلام في داخل السمكة! انه اشد مما في النفق. واضيق منه. ولكن الجندي المعدني كان باسلاً كعهده واستلقى وهو متنكب بندقيته.

وراحت السمكـة تنـدفع هنا وهناك بحركات مذعورة ثم هدأت اخيراً. ثم اختـرقهـا وميض كأنـه البـرق. واذا الجنـدي يعود الى ضوء النهار، وصـاح احـدهم: «جنـدي معـدني»! فقـد اصطيدت السمكة وبيعت وجلبت الى المطبـخ حيث فتحتهـا الطبـاخـة بسكين كبيـرة، وتناولت الجنـدي من وسطـه باصبعين وحملته الى الردهة حيث اراد الجميع ان يلقوا نظرة على الرجل العجيب الذي رحل في بطن سمكة. ولم يكن الجنـدي فخوراً بذلك ونصبوه على المنضدة. ويالاعجوبة الاعاجيب

فقـد وجـد الجنـدي نفسه في الحجرة نفسها التي كان فيها قبلاً. ورأى الاطفـال انفسهم، وكـانت الـدمى ماتزال واقفة على المنضدة وكذلك القلعـة الجميلة والـراقصـة الصغيـرة الحسناء، وهي ماتزال واقفة على ساق واحـدة وتـرفـع الاخـرى الى الاعلى. ويبـدو عليهـا الميـل الى الراحة. فتأثر الجندي كثيراً حتى اوشكت دموع من قصدير ان تنهمر، غير ان ذلك لايليق به. ونظرت اليه ونظر اليها وهمّت به وهمّ بها. ولكن دونما كلام...

المقدمة



اقبـل جنـدي يسيـر في الطريق العام . واحد ، اثنان! واحد ، اثنان! وضـع جعبتـه على ظهـره ، وسيفـه الى جانبـه ، فقد شارك في الحرب وهـاهـو الآن عائـد الى البيت . وقابل في طريقه ساحرة عجوزا ، قبيحة جدا ، تدلت شفتها على ذقنها .

وقـالت له : مسـاء الخيـر ، أيهـا الجنـدي ! مابـدع سيفك وماكبر جعبتك! انت جندي حقيقي! ستمتلك من المال قدر ماتحب .

فقال الجندي : شكرا جزيلا ، ايتها الساحرة العجوز .

فقالت الساحرة وهي تشير الى شجرة قريبة: اترى تلك الشجرة الكبيرة؟ انها مجوفة من الداخل. تسلقها حتى القمة، ستجد ثغرة يمكنك ان تنزل فيها حتى اسفل الشجرة. ساربط حبلا حول وسطك لكي استطيع ان اسحبك الى الاعلى عندما تناديني.

فسألها الجندي: وماذا افعل تحت الشجرة؟

فاجابت الساحرة: تحصل مالا. ولابد ان تعلم انك اذا مانزلت الى اسفل الشجرة ستجد نفسك في ممر واسع، مضاء، ينيره اكثر من مصباح وهاج. وسوف ترى ثلاثة ابواب يمكنك ان تفتحها اذ ان مفاتيحها فيها. واذا مادخلت الحجرة الاولى، رأيت صندوقا كبيرا في وسط الحجرة، وكلبا رابضا عليه، له عينان كأنها صحنان ولكن لابأس عليك منه. ساعطيك مئزري ذا المربعات الزرق، فانشره على الارض. واسرع الى الكلب وارفعه وضعه على مئزري، ثم افتح الصندوق وخذ منه قدر ماتشاء من المال. وكله عملة نحاسية، ولكنك اذ كنت تفضل الفضة، فادخل الحجرة الثانية، ستجد كلبا له عينان كحجري الرحى، ولكن لاتهتم. ضعه على مئزري وخذ المال. وان كنت تفضل الذهب فيمكنك الحصول عليه ايضا، وبقدر مايسعك حمله، اذا مادخلت الحجرة الثالثة. ولكن للكلب الرابض على ذلك الصندوق عينان بحجم البرج المستدير. وهو كلب فعلا، كما تتصور. ولكن لاتكترث بذلك. فما عليك إلا ان تضعه على مئزري، فلن يؤذيك بعد ذلك، وبوسعك ان تأخذ قدر ماتشاء من الذهب من الصندوق.

فقال الجندي: لابأس في ذلك. ولكن ماذا اعطيك ايتها الساحرة العجوز؟ اني ملزم ان اعطيك شيئا.

فقالت الساحرة: لاشيء منه ابدا، انما اريدك ان تجلب لي مقدحة

قديمة نستها جدتي عندما كانت هناك آخر مرة .

فقال الجندي : حسنا اذن ، اربطي الحبل حول وسطي .

فقالت الساحرة : خذ الحبل وخذ مئزري الازرق المربعات .

ثم تسلق الجندي الشجرة وجعل نفسه ينساب داخل جذع الشجرة المجوفة فالفى نفسه ، كما قالت الساحرة ، في ممر واسع ينيره مئة مصباح .

ثم فتح الباب الاول . إف ! الكلب ذو العينين الواسعتين كالصحنين رابض هناك يحملق فيه .

فقال الجندي : «انت كلب لطيف !» ثم وضعه على مئزر الساحرة وصار يخرج النقود من الصندوق ويحشو بها جيوبه . ثم اغلق الصندوق ، واعاد الكلب عليه ، ودخل الحجرة الثانية . ياهذا ! هاهوذا الكلب ذو العينين الكبيرتين كحجري الرحى . وقال الجندي يخاطبه : «ينبغي الا تحملق في وجهي بمثل هذه القسوة . فلربما تؤذي عينيك !» ثم وضع الكلب على المئزر . وحينما رأى الفضة في الصندوق القى النقود النحاسية كلها وملأ جيوبه وجعبته بالفضة ، ثم مضى الى الحجرة الثالثة . فياللهول ! حقا ان لهذا الكلب عينين كبيرتين كالبرج المستدير تدوران كما تدور العجلات .

وقال الجندي : مساء الخير ! وهويحييه لانه لم ير في حياته مثل هذا الكلب . وبعد ان نظر اليه لحظة ، فكر في نفسه وقال : هذا يكفي . ثم رفع الكلب ووضعه على المئزر وفتح الصندوق . ياالهي ! ماأكثر هذا الذهب ! بوسعه ان يبتاع به كوبنهاگن باسرها وكل الحلويات من بائعة الكيك والجنود المعدنيين ، والسياط والخيول الهزازة في العالم كله . هذه نقود حقا ! فالقى الجندي كل مافي جيوبه وجعبته من فضة وملأ جيوبه وجعبته وقبعته وحذاءه بحيث لم يعد في وسعه المشي الا بصعوبة بالغة . لقد نال حقا من المال مقدارا كبيرا . واعاد الكلب فوق

الصنــدوق ، واغلق البـاب ، ونـادى خلال الشجـرة : اسحبيني ايتهـا الساحرة العجوز!

فسالته : هل حصلت على المقدحة؟

فاجابها : حقا : لقد نسيتها تماما .

ثم عاد ليجلبهـا . وسحبتـه الساحرة، وهاهوذا يعود الى الطريق العام وجيوبه و حذاؤه الطويل وقبعته مليئة بالذهب .

فسألها الجندي : ولماذا تريدين المقدحة ؟

فاجابته : ليس هذا من شأنك . حصلت على المال، فاعطني المقدحة!

فقـال الجنـدي : هراء! اخبـريني في الحال ماذا تفعلين بالمقدحة والا جردت سيفي وقطعت راسك .

فردت عليه الساحرة : لن اخبرك!

فقطـع الجنـدي رأسهـا . وخـرت صريعة! ثم شد المال جميعا في مئزرها، وعلقه على ظهره كالصرة . ووضع المقدحة في جيبه وسار نحو المدينة .

وكانت مدينـة رائعـة . . فتـوجه الى ابدع فندق وحجز افخم الغرف وامـر باطيب الاطعمـة التي اشتهـاهـا ، فقـد اضـحى الآن رجلا غنيا ، يملك كثيراً .

وقـد ايقن الخـادم الذي نظف حذاءه ، ان الحذاء لايليق بمثل هذا الرجل الثري ، الذي لاوقت لديه لشراء حذاء جديد واشتري في اليوم التـالي حذاء جديـداً ومـلابس فاخـرة . فغدا الجندي رجلا انيقا ، ودله الناس على كل الاشياء الرائعة في المدينة وعن ملكهم وابنته الاميرة الجميلة .

وسأل : ولكن اين يمكن رؤيتها؟

فقالوا جميعا! لايمكنك ان تراها مطلقا. فهي تقيم في قلعة عظيمة من نحـاس تحيطهـا اسـوار وابراج. ولا يجرؤ احد غير الملك ان يدخل عليها، فقد تنبأوا انها تتزوج جنديا عاديا وان الملك لايرغب في ذلك!

وفكر الجندي: «اود ان اراها جيدا» ولكن لاسبيل الى ذلك، فاخذ يحيـا حيـاة المرح، وصار يرتاد الملاهي، ويركب العربة ويتجول بها في المتنزه الملكي، وينفق على الفقراء وهذا كرم واحسان منه. «تذكر حياة الافلاس. اما الان فهو غني يرتدي الملابس الفاخرة، ويحيط به كثيـر من الاصـدقـاء ويثنـون عليـه ويقـولون انه رجل مهذب وشخص كامل، وكان يجب ان يحمد.

ولما ظل ينفق المال كل يوم دون ان يأتيه مال جديد، فقد وجد نفسه في النهاية لايملك الا قطعتي نقد صغيرتين. فاضطر الى الانتقال من شقتـه الفـاخـرة، والسكن في غرفـة صغيرة في اعلى الفندق، وينظف حذاءه ويرتقه بنفسه. ولايأتي احد من اصدقائه لزيارته بحجة السلالم العالية.

وفي مساء يوم حالك لم يكن لديه مال يشتري به شمعة. تذكر فجأة ان علبـة المقـدحة القديمة التي جلبها من الشجرة المجوفة التي انزلته فيهـا السـاحـرة ـ تذكـر عقب شمعة فيها. فاخرج المقدحة وفيها عقب الشمعة، واشعل المقدحة، وعندما تطاير الشرر من الزند انفتح الباب ووقف امامه الكلب ذو العينين كالصحنين الذي رآه تحت الشجرة وقال له:

امرك، مولاي؟

فهتف الجنـدي: ياالهي! انهـا لمقـدحـة رائعة، سأنال كل ماشاء امثال هذا. هات شيئا من المال!

امر الكلب الذي خرج وعاد بمثل لمح البصر بكيس مليء بالنقود يحمله بفمه. فاستوثق الجندي من الكنز الذي صار يملكه في هذه المقدحة. فاذا ماقدح مرة، جاءه الكلب الرابض على صندوق النحاس، واذا قدح مرتين جاءه الكلب الذي صندوقه الفضة. واذا ماقدح ثلاث مرات اتى الكلب من على صندوق الذهب.

فانتقل بعد هذا الى الشقة الوثيرة، وعاد الى ملابسه الانيقة، وتذكره جميع اصدقائه مرة اخرى واحبوه كسابق عهدهم.

ثم طفق الجندي يفكر: انه لمن الغريب، ان لايسمح لاحد برؤية الاميرة. فجميع الناس يقولون انها في غاية الحسن. ولكن ماجدوى هذا كله اذا كانت الاميرة حبيسة تلك القلعة النحاسية العظيمة ذات الابراج. أليس بوسعي ان افعل شيئا من اجل رؤيتها؟ اين مقدحتي؟ ثم قدح الزند. وبلمح البصر حضر ذو العينين كالصحنين. فقال الجندي: على الرغم من ان الوقت منتصف الليل، الا انني مشتاق لرؤية الاميرة ولو لحظة واحدة.

وخرج الكلب من الباب فورا وقبل ان يفكر الجندي بذلك، عاد الكلب بالاميرة. وكانت مستغرقة في النوم على ظهر الكلب، لايسع من يرى حسنها الا ان يقول انها اميرة حقيقية، فما كان من الجندي الا ان يقبلها فقد كان جنديا حقيقيا.

ثم عاد الكلب مسرعا بالاميرة من حيث اتى بها، وعند الصباح قالت الاميرة للملك والملكة وهما يتناولان الافطار انها رأت حلما عجيبا عن كلب وجندي. فقد ركبت ظهر الكلب وقبلها الجندي. .

فقالت الملكة! انه حلم جميل!

ثم امرت بعد هذا وصيفة عجوزاً تسهر الى جانب سريرها للتأكد ان كان ذلك حلما ام شيئا غير هذا.

واشتـد الشـوق بالجنـدي الى رؤية الاميرة مرة اخرى، فجاء الكلب ليحضـرهـا . فاخـذها وجرى بها باسرع مايستطيع، فانتعلت الوصيفة العجـوز حذاءهـا وجـرت وراءهما . ورأتهما يدخلان بيتا كبيرا ففكرت في نفسهـا ! «عـرفت الأن مكانه» ووضعت اشارة كبيرة بالطباشير على باب البيت واستلقت على فراشها، ثم عاد الكلب بالاميرة في الحال . ولمـا رأى الكلب اشـارة على البـاب ، تناول قطعة من طباشير، ووضع اشـارات مشـابهـة على جميـع الابـواب في المدينة . وكان ذلك عملا بارعـا منـه، فلن يكـون بوسع الوصيفة ان تستدل على الباب اذا ماكان على جميع الابواب علامات .

وخـرج الملك والملكـة والـوصيفـة . ورجـال البـلا ط جميعا لرؤية المكان الذي ذهبت اليه الاميرة .

فقـال الملك لمـا رأى البـاب الاول عليـه تلك الاشـارة : هاهوذا :
وقالت الملكة : كلا يازوجي العزيز، بل ذلك!» عندما رأت اشارة على باب آخر. ولكن جميع الحاضرين هتفوا قائلين : وهذه اشارة! وتلك اخرى!

ومـالبثـوا ان ادركـوا عدم جدوى المحـاولـة في ايجـاد البيت ولكن الملكـة كانت امـرأة بارعـة الـذكـاء تجيـد شيئـا آخـر غير سياقة العربة فتناولت مقصها الذهبي الكبير وفعلت من قطعة حرير كبيرة كيـسا صغيرا جميـلا ملأتـه بحبـوب الحنطـة النـاعمـة . وربطته على ظهر الاميرة . وشقت فتحـة صغيـرة في الكيس لكي تتسـرب الحبـوب على الطـريق الذي تسلكه الاميرة .

وعـاد الكلب واخـذ الا ميـرة على ظهـره، وجـرى بها الى الجندي المغرم بها وتمنى لو كان اميرا، لعله ينالها زوجة .

ولـم يدرك الكلب ان الحبـوب كانت تنسـاب على طول الطريق من

القصر الى نافذة الجندي ، حيث جاء بالاميرة .
وتمكن الملك والملكة ان يعرفا بيسر في الصباح المكان الذي جاءت اليه ابنتهما فقبض على الجندي والقي في غيابة السجن ، حيث بقي قابعا يعاني من الظلمة والارهاق . ثم ابلغوه ذات يوم . «انك ستشنق غدا . » ولم يكن النبأ سارا ، وخصوصا بعد ان نسي المقدحة في الفندق .

استطاع في الصباح ان يرى ، خلال قضبان النافذة الصغيرة ، الناس يأتون مسرعين لكي يتفرجوا عليه وهويشنق . وسمع الطبول تقرع والجنود تمشي على انغامها كانت الدنيا كلها قادمة ، وبينهم صبي اسكاف في مئزره الجلدي وخفيه ، اقبل مسرعا ففقد احد خفيه الذي سقط تحت نافذة الجندي الذي كان ينظر من بين القضبان .

فقال الجندي يخاطبه : اقول لك ايها الولد ! لاتسرع فلن يحدث شيء حتى اصل هناك . ولكن ارجو ان تذهب راكضا الى البيت الذي كنت اقيم فيه وتجلب لي مقدحتي ، عند ذلك ساعطيك عشرة فلوس .

ففرح الصبي بهذه المنحة وانطلق لجلب المقدحة . وعاد بها واعطاها الى الجندي ثم ـ نعم ، سنسمع بقية ماجرى .

اقيمت خارج المدينة مشنقة عالية وتجمهر الجنود وحولها وكذلك حشود اهل المدينة وجلس الملك والملكة على عرش جميل ازاء القاضي والمستشارين جميعا .

وصعد الجندي السلم ، واوشكوا ان يضعوا الحبل حول رقبته ، فقال : جرت العادة قبل تنفيذ الحكم ان تلبى للمجرم احدى امنياته غير الضارة ، وانه يشتهي ان يدخن غليونا على ان تكون آخر ما يفعل في هذه الدنيا .

فلم يشك الملك بهذا ، فاخرج الجندي مقدحته وقدح بها مرة

ومــرتين وثــلاث مرات، فحضــرت الكــلاب ـ ذو العينين الـواسعتين كالصحنين وذو العينين كحجري الرحى وذو العينين كالبرج المستدير.

وصاح الجندي: ساعدوني! انقذوني من الشنق!

فهجمت الكـلاب على الحـرس والمستشارين . وتناوشت احدهم من ساقيـه والآخـر من انفـه وطوحت بهم عاليا في الهواء وعندما سقطوا على الارض صاروا هشيما.

وصاح الملك: «انا لن !» ولكن اكبر الكلاب تناوله والملكة وطوح بهمـا بعـد الآخـرين. فارتعب الجنـود، وهتف النـاس: ايها الجندي الطيب، ستكون ملكنا وتتزوج الاميرة الجميلة!

واوصلوا الجنـدي الى عربـة الملك والكلاب ترقص امامه وتهتف: مرحى! ووضـع الاولاد اصـابعهم في افـواههم وصفروا، وادى الجنود التحيـة بسلاحهم. وتحركت الاميرة القلعة النحاسية وتوجت ملكة مما ابهجهـا كثيـرا. . ودامت حفلة العـرس اسبـوعـا، . واتخذت الكلاب مقاعدها الى مائدة المأدبة وهي تحملق باعينها.

الجزء الاول

المقدمة

الحكاية

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٩٥ لسنة ١٩٩٠

دار الحرية للطباعة
بغداد

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسم النشر



السعر ۱٫۲٥۰ دينار